obeikandl.com

obeikandl.com

إخوتي القراء الكرام: سلام الله عليكم ورحمته وبركاته وبعد:

فمثلي في قصيدتي (القرار الأخير) كمثلِ رجل يمني في عهد الإمام أحمد حميد الدين، وقد وقعت مظلمة على هذا الرجل، فذهب إلى قصر الإمام يشتكي، فوجد كاتباً بليغاً عند القصر، فكتب له خطاباً مؤثراً إلى الإمام، فقال الرجل للكاتب: اقرأ عليَّ الخطاب، فقرأه عليه فانهدّ الرجل باكياً، قال الكاتب: ما لك تبكي؟! قال الرجل: والله إني ما أدري أني مظلوم إلا اليوم، وأنا كتبت القصيدة ثم قرأتها فبكيت وقلت: حسبنا الله ونِعمَ الوكيل، أنا في هذا الوضع ولا أدري إلا اليوم، ويقولون إن أشعب قد آذاه أطفال المدينة، فأراد أن يفرقهم عنه، فقال لهم: إن في ذاك البيت عرساً، فأسرعوا إلى البيت، فقال في نفسه: يمكن أني صادق، فأدركهم فتناولوه ركلاً ولطماً، وأبو رقيبة أعدوا له خطاباً في عيد استقلال تونس، فقال للكاتب اكتب هنا: (بكية) فلما وصل لذلك المقطع بكى، وأحسن الله عزاءه في الصدق والإخلاص، وقد سبقني إلى قناعة لزوم البيت ومصاحبة الكتب، لأنها تعني مصاحبة فضلاء ومشاهير عالمين، وقد قال سيد الخلق صلى الله عليه وسلم فيما صح عنه: "كفَّ عليك لسانك وليسعك بيتك وابك على خطيئتك"، ويقول تأبط شراً بعدما تأبط خيراً:

عوى الذئب فاستأنستُ بالذئب إذ عوى وصوَّت إنسان فكِدتُ أطير

وقال دانتي شاعر إيطاليا:

العزلة مملكة الأفكار، وأحسن من جوّد في ذلك وأبدع علي بن عبدالعزيز الجرجاني الفقيه الأديب القاضي، حيث يقول:

أَنِستُ بوحدتي ولزمتُ بيتي فدام لي الهنا ونَمَا السرورُ

وأدبني الزمان فلا أبالي هُجرتُ فلا أُزارُ ولا أزورُ

وقال شاعر آخر:

تسترت من دهري بظل جناحه فعيني ترى دهري وليس يراني

فلو تسأل الأيام عني ما درت وأين مكاني ما عرفنَ مكاني

obeikandl.com

وقال ابن الجوزي: لا أعلم أعز ولا أشرف ولا أسعد ولا أهنأ من العزلة خاصة لطالب العلم فإنه يجمع همّه ويسلم من كل سوء.

وقال ابن حزم في الأخلاق والسير: من أراد السرور والعز والراحة فعليه بالعزلة.

ونقل النووي في (بستان العارفين) عن الشافعي أنه قال: من أراد أن يلين قلبه وأن يفتح الله عليه في العلم، فليلزم الخلوة ولا يجالس من لا ينصفه ولا تنفعه مجالسته، وأنا أعلم أن هذا الكلام كله لن يقنع كثيراً من الناس ممن يحب الخلطة، ويعشق الرحلات البرية والجلسات البحرية والسمرات الأخوية خاصة إذا اجتمع الأحباب في الله على تيس مندي أو التفَّ الدعاة إلى الله على خروف هرفي لمدارسة أوضاع المسلمين وحلِّها عاجلاً بعد تناول الحلويات والفواكه؛ لأن الدعوة إلى الله عندهم لا بد لها من تنسيق ودراسة مستفيضة، واجتماعات مكثَّفة حتى تنطلق من أُطر وتنبثق في بوتقة؛ لنستطيع مخاطبة الآخر على أرضية مشتركة، وتقوم بيننا وبينه حوارات بأجندة مؤدلجة تثبت أن الأفكار الماضوية فيها ما يقبل التطوير، ونحو هذا من الكلام الذي لو سمعه عمر بن الخطاب لبطح قائله أرضاً، ولضربه بالدرة حتى يخرج شيطانه الذي تلبَّس به، فإذا كانت الخلطة على هذه الصفة، فأنا أفتيك بوجوب لزوم البيت مع القرآن، وكتب العلم النافعة، وقد قرأنا وسمعنا للعلماء فوجدنا كلامهم سهلاً ميسراً عميقاً، ثم نبتت نابتة تسمي نفسها النخبة ففشلت في مخاطبة الناس وإقناع الجمهور وعمدت بعدما أدركها خذلان من الله ففعلت فعل الباطنية حيث استخدمت اللغة الرمزية حتى يقال: (كل الصيد في جوف الفرا) فضلَّت وأضلت، والحمد لله أن هذه النخبة الفاشلة يقارب عددهم سبعة، ثلاثة في الرياض، واثنان في جدة، وواحد في جازان، وواحد في حائل مات وبقوا ستة، ومثلهم مثل من حجَّر رحمة الله الواسعة فيه وفي أصحابه، فأتى بشروط لمن أراد دخول الجنة وركَّبها، فمن انطبقت عليه فهو من أهل الجنة، ومن أخلَّ بشرط واحد فأمه هاوية، وهذه الشروط في نظره لا تنطبق إلا على ثلاثة عشر، منهم ستة بدون إقامات، فأين الجنة التي لها أبواب ثمانية؟ بين كل مصراع من مصاريع أبوابها

obeikandl.com

والمصراع الآخر كما بين صنعاء وبيت المقدس، وسوف يأتي عليها يوم وهي كظيظة من الزحام، ونحن برحمة أرحم الراحمين والحمد لله أن الله لم يجعل مفاتيح الجنة بيد أحدٍ من الناس ﴿ **قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الإِنفَاقِ وَكَانَ الإِنسَانُ قَتُورًا** ﴾ (الإسراء: ١٠٠) وقد كفَّر أبو حمزة الخارجي النواصب، ثم كفَّر بني أمية كلهم، ثم كفَّر الحجاج جميعاً، ثم كفَّر أصحابه إلا واحداً، وقال لصاحبه: لا يدخل الجنة إلا أنا وأنت !! قال له صاحبه: جنة عرضها السموات والأرض لا يدخلها إلا أنا وأنت؟!! قد تركتها لك.

وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خيرٌ لكم، بعد القرار الأخير سعدتُ بعشرات الاتصالات من علماء ودعاة وأدباء باعدت بيننا وبينهم الأيام فلهم الشكر مدبجاً، والثناء معطراً، أما القصيدة (القرار الأخير) فعلى قولهم: "خذ من كلام العاقل نصفه" هذا إذا كان في تمام قواه العقلية بعدما سمعتم من نواح في القصيدة، وقد سلمت والحمد لله القصيدة من التصحيف والتحريف بجهد كريم من ريشة أبي أسامة، وأنا كتبتُ لكم من عزلتي داخل مكتبتي وحولي عشرة آلاف مجلد، على يميني شيخ الإسلام ابن تيمية يسلم عليكم، وأمامي ابن حجر يسأل عنكم، وعن يساري ابن خلدون مشتاق لطلعتكم، ووراءي المتنبئ يطارحكم القريض، وفوق رأسي رفوف للشافعي وأحمد بن حنبل والشاطبي وابن الجوزي وغيرهم، أنا اعتزلت فقط مجالس درجات الحرارة، والصيدليات المناوبة، وأخبار السيول، وسعر الشعير، وحديث المربعانية والعقارب، أنا اعتزلتُ الأحاديث المكررة السامجة الباردة، يوم تجلس في مجلس فيبدأ الناس بالدور يسألونك عن الحال والعيال والأموال، والوالد والوالدة بخمسة وعشرين سؤال ولا يتحروا منك أي جواب، لكنني سوف أبقى أشارك في صنع كلمة الحق ومناصرة الرسالة الربانية باللسان والقلم، وسأبقى للجميع كما كنتُ على حد قول شاعر زهران الشاعر الشعبي محمد ابن مصلح رضي الله عنه، وقدّس الله روحه ونوَّر ضريحه؛ حيث يقول في قصيدة رائعة له:

obeikandi.com

ابن مصلح يقول ما أبغي رفيقي يضيق والا يشين

والله إني اقترب من حبنا وابتعد عمن كرهنا

ما بي إلا ثقات العلم والا النشامى يشرهون

أما المسجات والفاكسات على قصيدة (القرار الأخير) فسيل جارف منهم من أثنى على القصيدة، ومنهم من عارضها، ومنهم من بكى من تفجعها، ومنهم من وعدني بإيصال معارضة لها ليستدرجني لاستقباله ليضيع عليّ أربع ساعات ليتحفني بقصيدة عجفاء، لأقول له: الحمد لله الذي أخرج من بطنك هذا الشعر ولو بقي فيه لقتلك.

وأرجو من الجميع حسن الظن، وحمل الكلام على أحسن المحامل كما قال ابن رشيد:

يا حسين خلّك من خيار الخويّين ترى الخوي يا حسين مثل الأمانهْ

ما يستشكْ يا حسين كود الرّديين والا ترى الطيّب وسيعٍ بطانه

القبيلة: يا ساتر

أول من يواجهك في مجلس من أخفق في الدراسة، وفشل في العمل، وطُرد من المصنع، شجرة أنساب فيها سلسلة من الآباء والأجداد الذين لم يحضروا بدراً ولا أحداً وإنما غزوا قبيلة مجاورة فقتلوا عجوزاً وطفلين.

كلما ذهبنا إلى قبيلة جاء شاعرها بقصيدة يقسم بالأيمان المغلظة ما خلق الله كقبيلته فشاعر عتبة يقول:

يا مرحباً بالسداري يا خوال الملوك في حلة عتبة الهيلي أخوال النبي

أما شاعر زهران بن ثامرة فيقول:

أين حن زهران ما يفعلنا فعايلنا ولا رجال.

والغويد قال في غامد:

أين حن غامد الهيلا إذا زاغ للبيرق علوم.

obeikandl.com

وشاعر بالقرن بن خضران يقول في بالقرن:

جينا ستين فارس وان رجّالنا ند أربعين.

وشاعر نجد يقول:

حنا هل العوجا مخابيط الكفر

وكل حزب بما لديهم فرحون، وبقي أبناء القبائل الأصيلة صادقين في بيوتهم، نصفهم في الضمان الاجتماعي، وربعهم مصاب بارتفاع الضغط؛ لانخفاض الأسهم، وربعهم يأكل فصفص ويلعب بلوت، والذين ليس لهم حسب ولا نسب من الأمريكان أولاد الجواري والقينات قصفوا بالطائرات قبائل شمر في العراق أحفاد حاتم الطائي؛ ليقول الشاعر الشعبي متهكمًا:

يا سلام على بوشين بوش الكبير مع الصغير

يا سلام على من يكسب المدح ويحوز المعالي

غمرهم عند خط النار واحنا على لعب البلوت

فنحن لم نأخذ بما جاء في القرآن: ﴿**إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ**﴾ (الحجرات: ١٣) ليكون بلال بن رباح سيداً من أصحاب الجنة، وسلمان منا آل البيت، وأبو لهب الهاشمي في نار تلظى.

ورجائي ممن عنده أشجار أنساب أن يبيعها أو يأخذ بثمنها شعيراً لأغنامه ويحافظ على صلاة الجماعة ويشتري نسخة من رياض الصالحين ليتأدب بأدب السنة النبوية.

الذرية

عندنا كثرة إنتاج في الأولاد والبنات مع إهمال للتربية والرعاية، وأحدهم حارس مدرسة عنده ثلاث زوجات في بيت شعبي قديم ولديه سبعة عشر ابناً وراتبه

ألف ريال، ويدور بصك ملفق معه يشحذ عباد الله الصالحين، وكل سنة يبشر بولد أو ثلاثة، فهل هذا حسن تدبير، وهل هذا ما يوافق العقل والنقل؟ ثم يظهر لنا أبناء بلا تربية ولا علم ولا توجيه، وأحدهم تزوج أربعاً في أربع قرى، كل واحدة في بيت ضيق قديم يصلح للبهائم، ووضع معها كلباً لحراستها وأبنائها، وهام بسيارته الأجرة يطلب الرزق، وكلما عاد أهله بكى أطفاله في وجهه يطلبون خبزاً، فأين «اعقلها وتوكل؟» وأين فعل السبب ودراسة العواقب؟ إن كثرة الناس بلا علم ولا فهم أصفار لا قيمة لها، فهل نفعنا مليار ومائتا مليون مسلم ؟ وهل انتصروا وأعادوا مجدهم المسلوب ؟ وإسرائيل بثلاثة ملايين ركَّعت العرب، وهددت العجم، وتوعدت البربر، وابتاعت صواريخ من الصين.

ربِّ ولدين صالحين عالمين ناجحين ولا تخلِّف لنا ثلاثين أحمق يسهرون في المقاهي ويرقصون في العرضات الشعبية ويقولون: يا بلادي يا بلادي عمت عين الحسود، وما أدري من هو هذا الذي يحسدنا وقد رآنا نضيع الأوقات ونخرج صناعاتنا للناس التي هي فأس قديم من عهد أبي زيد الهلالي، ومسحاة أثرية وسيف مكسر، ورمح أجرب، وجلد ناقة عجفاء، والعالم وصل إلى المريخ وعطارد وما زلنا نطالب بطريق إسفلت فإذا افتتح الطريق رقص أهل المنطقة وذبحوا الجمال والخراف وثلاثة أيام لتسمع بهم العرب فلا تزال ترهبهم أبداً، وعرفتُ مدرسة ابتدائية في البادية فيها سبعمائة طالب أكثرهم فقراء يفضلون بيتهم وقت الفسحة؛ لأن بعضهم يملك قيمة إفطاره، وبعضهم لا، فيخفون هؤلاء عن هؤلاء رفعاً للإحراج، وسوف يصل هؤلاء الطلبة إلى ألفين مع التعدد بلا وعي ولا تدبير ولا حسن تربية، فيجتمع الجهل والفقر والمرض، ﴿**ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا**﴾، وعند الخواجة طفلان أحدهما سوف يصل المريخ والثاني يصنع دبابة.

لغة أعجمية فصيحة

استمعت لمداخلة الكاتب من لندن في قناة العربية وأخذ بلهجة أعجمية فصيحة جميلة فيها، لكنها عربية عذبة يخبرنا أنه ينبغي أن نطلق حرية الرأي

والفكر والمعتقد، ويقول: لا ينبغي لأي فرقة أو طائفة إسلامية أن تحتكر الحقيقة، يا سلام يعني الكل صح والجميع على صواب وليس هناك أناس معهم الحق كله ولكنهم: (زي بعضهم) فما أدري ممن أعجب من جودة اللغة أم جمال اللهجة أم روعة الطرح أم سداد الرأي؟!! وذكرني برجل عامي عجول فيه سذاجة يحفظ كل دعاء يسمعه في الراديو وفي التلفاز، فزار أحد العلماء المرضى وجلس عند رأسه ودعا له فقال: الله يرينا فيك عجائب صنيعه، وهو يري أنه أحسن وأجاد فهذا الكاتب العظيم جاء يفهمنا أنه يمكن أن نعتقد بحرية وليس هناك أناس معهم الحق والحقيقة بل هي مشاعة موزعة على الجميع وهذا كما قال عمر: أنتم مثل العبادي عنده حماران قيل له: أي حماريك أسوأ؟ قال: هذا ثم هذا.

وأقسم لي الدكتور الحربي إن طالباً من أفريقيا قال له في الفصل: أنا عندي صداع في بطني ومغص في رأسي وأما سلامة مخارج الحروف وحسن الإلقاء وعذوبة المنطق فهي ربانية، وهو معذور في كل لحن، فهو من قوم يقول طبيبهم للمريض: بطنك يوجأني وخذ هبه صباه هبه مساء.

وقيض الله من مجاهدي أفغانستان من ألقى كلمة في الرياض، فقال عن الروس المحتلين: إن شاء الله ننهزم عليهم - يقصد نهزمهم - فكيف إذا ضعف النطق والرأي ﴿**فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَىٰ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ**﴾، وهؤلاء الكتاب أكثر كتابتهم عن الإرهاب والتطرف والأصولية والأيديولوجية مع - طبعاً -: احترام الآخر، والآخر هي باختصار كندوليزا رايس، ﴿**فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ**﴾، وهؤلاء الكتاب (حبّوبين ومهذبين وحلوين) مع الخواجات وشرسين وعنيفين مع المشايخ والشيخات (أسد عليّ وفي الحروب نعامة) وكل يوم يطل علينا مثقف مبلغه من العلم عدة كلمات إنجليزية وأسماء بعض كتاب الغرب ولا يقيم آية ولا يحفظ حديثاً ﴿**فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلاَّ الضَّلالُ**﴾ (يونس: ٣٢) وهؤلاء هم تنويريوّن بزعمهم من النور والصحيح "تنّوريّون" من التنوّر ﴿**وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ**﴾ (النور: ٤٠).

إلى الخلف دُر

زرت دولة عربية فوجدت مدنها بالية وبيوتها خاوية، عمارات قديمة وجسور مهدمة، وحدائق معطلة، فقر مدقع وجهل مطبق والناس يلاحقون بالتجسس، وقد قتلت الإنسانية في الإنسان، وهم مع ذلك مجبورون للتصفيق لهذا الزعيم الملهم والقائد الضرورة والرئيس المحنك، وصوره على كل (كبري) وفي كل شارع وعند مدخل كل مقهى وفندق، وعلى أعمدة الكهرباء وفي الميادين مرة وهو لابس طاقية ومرة بالبزة العسكرية ولم يخض معركة، وأحياناً يضحك في الصورة كأنه غوار، ومرة يعقد جبينه مفكراً كأنه سقراط، ومرة في صورة يحيي الجماهير كالأب الحاني وهو الذي قتل ثلثهم وشرد ثلثهم والثلث الآخر مسجون ومستعبد، والأرض محتلة والوطن مصادر والرشوة فاشية والفساد الإداري جاثم مع تكميم الأفواه وجلد الظهور ومراقبة الأنفاس والتنصت على كل غرفة في البيت ﴿ **رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ** ﴾ (الدخان: ١٢) ومن العجيب أنه كتب على صورته: سر بنا إلى الأمام، قلت أنا: وإلى الخلف دُر، فتحت تلفزيونهم فإذا صورته تملأ الشاشة وإذا ثلاثة أرباع الأخبار له وكل الصحف مصدرة بصورته في كل صباح والكتب المقررة تدرس كلماته وتشرح عباراته وسبحان الذي فتح عليه وهو يحمل شهادة الرابعة ابتدائي ليلي من مدارس النور لمحو الأمية، والعلماء والدكاترة يبحثون في خطبه عن أسرار البلاغة وأسباب الإعجاز ﴿ **فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ** ﴾ (الزخرف: ٥٤).

وبنو الأصفر والأشقر يقول عنهم عمرو بن العاص في صحيح مسلم: أمنع الناس لظلم الملوك.

والرئيس الأمريكي يحاسب أمام الناس؛ لأنه خلا بامرأة وتصبب عرقه أمام الكاميرات، وفي العراق ضربت مدن بالكيماوي وفي بلدان عربية أخرى عدد السجون أكثر من المصانع، ومنع الناس في دولة ثالثة من الصلاة في المسجد، بينما

فتحت الخمارات على مصاريعها، فهذه الدولة أخفقت في الدين والدنيا فلا مساجد ولا مصانع، قتل العقل والبدن، وحبس الفكر واللسان، واجتمع مع الجوع ذل ومع الهزيمة ومع الفقر قهر.

كثرة المؤتمرات

ما أكثر المؤتمرات في بلاد المسلمين لكن بدون قرارات عملية، إنما اجتماعات مغلقة ومحاضرات طويلة ثقيلة، وكلمات باردة سامجة وتوصيات متهافتة باهتة، ولو صُرف هذا المال في دور رعاية ومعاهد ومراكز للتدريب وللبحث العلمي كان أجدى وأنفع، كل يوم نسمع عن عقد مؤتمر لتأصيل الفكر الإسلامي وتطوير الحوار مع الآخر والانطلاق نحو العالم برؤية مستقبلية عميقة فاحصة تستطيع أن تعيش عصرها بروح التجديد والتعايش السلمي المبني على المعرفة المنهجية المتأقلمة مع محيطها الدولي المدركة لمتطلبات المرحلة؛ لأن الأمة تعيش في منعطف خطير، ونحو هذا الكلام الممجوج الهزيل الذي ملأ الفضاء نعيقاً وضيع الأزمان والأموال وشتت الأمة.

إن الأمة إذا صعب عليها العمل هان عليها القول، وإذا أخفقت في الميدان أجادت فن الهذيان، وإذا فشلت في مشاريع النهار فرت إلى أحلام الليل وسألت المعبرين عما رأته من فتوحات وانتصارات.

إن هذه المؤتمرات مثل التنجيم الذي كاد عرَّافوه أن يصدوا الخليفة المعتصم عن غزو عمورية فقال: آمنت بالله وكفرت بكم وحارب وانتصر، هذه المؤتمرات يُصرف عليها ملايين الريالات وتحجز لها الفنادق والقاعات والصلات والطائرات والسيارات الفارهات والولائم الشهيات مع حضور الكاميرات ومراسلي الصحف والإذاعات، ومندوبي القنوات وأعضاء من الهيئات والمنظمات، ثم لا يطبق قرار واحد وإنما تُحفظ التوصيات لمؤتمر آخر؛ لأن التنفيذ يحتاج إلى آلية تستطيع تفعيل هذه التوصيات على مدى خمسين سنة؛ لينقرض هذا الجيل الحي الموجود ﴿يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾ (محمد: ٣٨)، فمتى نلغي هذه

الحواجز بطريق العمل والبناء، ومتى نبسط حياتنا ولا نصدق هذه الترهات التي طالما ضحكوا بها علينا، الناس ينتجون ويصنعون ويخترعون ويكتشفون، معاملهم هدارة، ومصانعهم موارة، ونحن مشغولون بمؤتمرات ثرثارة، كلما فتحت قناة وجدت مؤتمراً في عاصمة عربية عن التنمية وصنع الحضارة ورقي الإنسان وتقدم الأمة وحقوق الإنسان، ثم تنظر للواقع فإذا بجانب المؤتمر أرصفة تعج بالعاطلين عن العمل، وطوابير من المتسولين وعلى يمين المؤتمر وعلى يساره سجنان عظيمان للمخالفين في الرأي باسم الحفاظ على هوية الأمة وأمن الوطن وراحة المواطن، وإذا هزلت أمة أكثرت من الخطب العنترية والمعلقات الشعرية وأسهبت في النفاق الزائف والمدح الكاذب، وما زلت أذكر قبل مدة اكتشف في دولة أوروبية خلل في المواءمة بين العاطلين ومتطلبات سوق العمل، فعقد مؤتمر عنوانه «أمة في خطر» وخرج المجتمعون بتوصيات حلت المشكلة في شهر، أما في دولة عربية فعقد مؤتمر عن الأمية كان عنوانه «أمة لها مستقبل» والدارسون تجاوزوا الأربعين عامًا، وكأننا ما زلنا نعيش في أحلام العصافير.

الغرور

نبتت عندنا نابتة اسمها النخبة عاشت منعزلة في قصور عاجية من الوهم وانفصلت عن الناس فكتاباتها رمزية لا يفهمها إلا من كتبها وإذا ألَّف الواحد منهم كتاباً بقي على الرفوف، فيقوم المؤلف بإهدائه لأصدقائه، وبعضهم إذا نظم قصيدة هستر وهذا كالذي يتخبطه الشيطان من المس، وحضرتُ أمسية في الرياض لشاعر حداثي فألقى قصائد فوالله ما ملكت نفسي إلا ضحكت وغالبت نفسي فما استطعت، ورأيت جاري يضحك مما يسمع فيقول هذا الشاعر: أقبية قلم الروح خاصرها، أنتقل في جفون الليل مثقلاً بعناء يشدني، فكأني أحمل الشفق، ونحو هذا الهلس والثرثرة، ونصيحتي للناس أن يتركوا التكلف في الحديث: هلك المتنطعون، والمتنبئ يقول:

أبلغ ما يطلب النجاح به الـ طَّبع وعند التعمق الزلل

وبعض الخطباء يتقعر في كلامه فيخاطب الناس بخطورة الغزو الفكري وأجندة العولمة، والحمق مرض قديم والحكمة نادرة في الناس، ووجدت أحد الفضلاء ألَّف ستة مجلدات كبار في الطهارة فحمدتُ الله على السلامة، وأعرف طالب علم همه جمع الزلات والأخطاء وتعقب أغلاط الناس وجمعها وكأن الله جعله ميزاناً وحكماً يعود إليه الناس، وبعضهم إذا تحدث استغرق المجلس في الحديث عن نفسه وكتبه ومقالاته وكأنه ليس في الساحة إلا هو، وبعضهم لم يجد من يمدحه، فنظم قصيدة مدح في نفسه، فما صدقه أحد، ووجدت في سير أسلافنا عجائب، فبعض العلماء اغتر وسفَّه كل من خالفه، وكأن كلامه وحي، وبعضهم يقول: ما رأى هو مثل نفسه، وأحد الحنابلة يقول: إن ركب قارباً ثم انكسر يعني لن يتكرر وجوده في العالم، والسيوطي يرى أنه مجدد القرن التاسع، أما ابن حبان فأخبرنا أن شيوخه ألفان والله المستعان، وكنت أجالس بعض طلبة العلم فيصف لي قوة طلبه في شبابه وكيف كان يحفظ العلم، ثم ذهب ذلك كله وأصبح كالعامي، وعندنا دعاوى عريضة واهتمام بالشهرة والظهور؛ لأن الإخلاص مفقود، ولو عاملنا ربنا وحده ما همنا الناس فهم كالذباب لا نفع ولا خير.

الثقلاء

هم أناس الجلوس معهم يمرض الروح، وربما يبقى الواحد مريضاً ثلاثة أيام من رؤية ثقيل، ومن الأئمة من يصلي بالناس فيمطط صوته ويتباكى ويتنحنح ويظهر التخاشع ويردد الشهيق والزفير، فيا إخواني استحيوا من الله، عيب هذه المراءاة للناس وصرف العمل لهم، وقد قال قتادة: إذا قام العبد يصلي ويرائي الناس، قال الله: ملائكتي انظروا لهذا يستهزئ بي، ومن ثقالة الدم تطويل وقت الزيارة فإذا زارك ثقيل قطعك من كل شيء وأشغلك عن أعمالك بكلامه السخيف حتى يقول أحد الناس: الثقيل مثل البقرة الباركة أمام الباب إن حاولت أن تتجاوزها خشيت أن تنهض، وإن بقيت حبستك عن مشوارك.

ومن ثقالة الدم التطويل في الموعظة مع التمطيط والتلحين والتباكي والنياحة ولطم الخدود وشق الجيوب كأننا في حسينية، وعدم اختيار الكلام المناسب في الوقت المناسب، فيحدث الناس عن عذاب القبر في حفل الزواج، ويتكلم عن الزواج في العزاء، والعقل نعمة، ولكن بعضهم عقله في إجازة.

وزار شيخ قرية في الجنوب فحبسهم بالقوة من الفجر إلى الظهر في موعظة، ففر بعضهم وحصل لغط وكادت تكون فتنة وغاب عن هذا الشيخ قول الرسول ﷺ: "**يسِّروا ولا تعسِّروا، وبشِّروا ولا تنفِّروا**".

وخطب أحدهم للجمعة فبقي ساعة كاملة في الخطبة الأولى حتى ضج المسجد وصاح بعض المصلين، وانظر كيف جهل السنة في خطبة الجمعة، وشق على الناس وتسبب في فساد صلاتهم، وهذا حمق منه وهوس.

وهناك صحفيون ثقلاء يكتب أحدهم مقالة مثل خلطة الأسمنت لا جمال في العرض ولا حسن في الفكرة ولا سداد في الرأي، وينيّلها بنيلة بطول المقالة حتى يكاد الإنسان يستفرغ من الغثيان.

وصحفي مشهور عنده جنون بالإغراب حتى عُرف بالماضوية واللاوعي وأجندة وبوتقة وأُطر، ومثل هذا يؤخذ إلى عيادة نفسية أو تقرأ عليه آية الكرسي أو يكوى ثلاث كيات على قفاه.

وبعضهم عنده سبعة دواوين كل ديوان مثل كيس الأسمنت لا يحفظ له الناس بيتاً.

وكنت أحاول الفرار من رجل إذا لقيني عانقني بحرارة وقوة وألصق صدره بصدري وخده بخدي، ثم ضمني ثم خنقني ثم جرني بأكتافي ثم هزني ثم أطلقني ثم سألني عن حالي وعيالي وأموالي ووالدي ووالدتي وعن الأمور والأشياء والأخبار والعلوم والجديد، والعجيب أن الله سلمني وما أصبت بجلطة من تصرفاته، إنما يصيبني مثل الحمّى، ورأيته يفعل مع غيري مثلي فأرحم كل من لقيه، لما أعلم من شدة ما وقع به، ورحم الله خفيف الظل ما أحسنه وأحبه إلى القلوب! أما الثقيل .... تهامه وملل وسآمة.

كذبة الألقاب

كان الصحابة الواحد منهم أمة من الناس في العلم والإيمان والصدق والتضحية، وكانوا يدعونه باسمه مجرداً هكذا: أبو بكر، عمر، عثمان، علي، فلما جاء من بعدهم زادوا: العالم فلان، والفقيه فلان، والقاضي فلان، ثم زادوا الفهامة والعلامة، ثم زادوا بركة الدهر وفريد العصر، ثم زاد سماحة الشيخ، ثم زاد سماحة الشيخ الدكتور الفاضل الإمام البحر الحبر الفقيه النظار الأعجوبة اللوذعي إلى آخره من الهذيان ﴿ **فَلا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَىٰ** ﴾ (النجم:٣٢)، ثم فخموا الأشخاص وقدسوا الناس فقال: فخامة الرئيس الملهم القائد العظيم الزعيم الكبير الضرورة، ثم يسقط فيجرونه في الشوارع ويحرقون رأسه ويصنعون عليه براد شاهي.

ومن الجهل المطبق تكلف الإنسان ما لا يحسن وقد ذكر الجاحظ أن أحمق غبياً حدث الناس في البصرة فقال: وقعت صفين بين علي بن الخطاب ومعاوية بحضور فاطمة بنت أبي بكر الصديق وهذا تكلف الجهال.

وأحد العامة أراد أن يتفصح ويتبجح عند قبيلة وكانوا في قرية وقد سافر إلى الرياض، فقال له قومه: وش أخبار الرياض؟ قال: الدولة تساعد الحكومة لكن الشعب ما درى.

وهذا مثل خطيب خطب الناس فقال: أريد أن أتحدث لكم عن الفجل والخروف وأمير المؤمنين، ومشكلتنا في من يدخل في غير تخصصه وقد نهينا عن التكلف لكن من يسمع؟

وذكر القاضي العمري في اليمن أن أحد الوزراء هناك كان كذاباً ويأكل الربا فدعا الناس إلى وليمة وأخذ يحدثهم بقصص خرافية، ثم التفت إلى أحد الأدباء على المأدبة، وقال: كيف حالكم يا فلان؟ فرد عليه: نحن سمّاعون للكذب أكّالون للسحت، وإذا فسد عند الناس الطعام والكلام فقلْ: السلام والواجب قول الصدق وأكل الحلال.

openkanal.com

وعلى ذكر اليمن فقد مر عندهم وزير غضوب شرس بسرداب في صنعاء معه موكبه وفي السرداب جزار لا يدري بالوزير فلما وازاه رمى الجزار بشيء من بقية الذبيحة فوقع الدم على الوزير السفاح، فقال: علي بالجزار يريد قتله، فقال أحد الشعراء للوزير: صدق فيك قول المتنبئ:

لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى حتى يراق على جوانبه الدمُ

فقال الوزير: قد عفوت عنه من أجل هذا البيت، وهذا يدلك على شيوع وذيوع شعر هذا المتنبئ الأعجوبة حتى إن الشوكاني ذكر أن أحد حكام اليمن جاءه شاعر ومدحه بقصيدة فأعجب بها الحاكم فقال الشاعر: والله إني أشعر من المتنبئ، فقال الحاكم: كذبت وكذب أبوك وحدك، والله إن للمتنبئ خمسمائة بيت تدور على ألسنة الملوك فضلاً عن العامّة وأنت ليس لك بيت واحد يدور على لسان أحد، وعلى ذكر كذبت أنت وأبوك وحدك فقد تحذلق الخليفة هشام بن عبدالملك وكان ناصبياً وأراد أن يخبرنا من جهله بخرافة فجمع العلماء وهددهم وقال: من الذي تولى كِبرَه يعني في قصة الإفك على عائشة رضي الله عنها فأجيب بأنه عبدالله بن أبي بن سلول، فكذبهم وقال: بل هو علي بن أبي طالب كذباً منه وزوراً فسكتوا خوفاً منه فسأل الزهري الإمام الشهير، فقال: الذي تولى كبره هو عبدالله بن أبي بن سلول، فقال هشام: كذبت فردّ الزهري عليه: بل كذبت أنت وأبوك وحدك، والله لو نادى منادٍ من السماء: إن الكذب حلال ما كذبت، فخرس هشام وخسئ مبهوتاً.

وذكرني هذا بأحمق شرح بيت الفرزدق حيث يقول:

بَيتا زُرارَةُ مُحتَبٍ بِفِنائِـهِ وَمُجاشِعٌ وَأَبو الفَوارِسِ نَهشَلُ

وهو يمدح أجداده وأحياء قبيلته ومن أشهرهم زرارة ومجاشع وأبو الفوارس، فتكلف الأحمق الجاهل فقال: زرارة البيت ومجاشع زمزم جشعت بالماء وأبو الفوارس القنديل المعلق، والجنون فنون، وهذا مثل تفسير بعض الطوائف المنحرفة في قوله تعالى: ﴿**مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ**﴾(الرحمن:١٩) ﴿**يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ**﴾ (الرحمن:٢٢) قالوا: البحران علي وفاطمة، واللؤلؤ والمرجان الحسن والحسين!! وهذا كلام تافه سخيف فلا عقل ولا نقل.

كما قرأ أحد جهلة الصوفية (فخر عليهم السقف من تحتهم) فضربه ابن تيمية وقال: لا عقل ولا قرآن؛ لأن السقف فوق. ومن حرّف معاني القرآن بهذه الطريقة فهو أشبه بالبقر، كما رأى ابن الجوزي أحدهم فقال: أنت فلان؟ قال: ذاك أخي فقال ابن الجوزي: إن البقر تشابه علينا.

وعندنا تقصير في تلاوة القرآن وحفظه وفهمه والعمل به حتى إنا استوردنا الباكستان والأفغان يعلمون أبناءنا القرآن، وهذا شيء يجعل الحليم حيران، وشغل الناس عن القرآن بالتفاهات حتى إني ركبت الطائرات مرات كثيرة ورأيت كل الركاب يقرؤون في كل شيء من المجلات والدوريات ويذكرون الحكايات وما سمعت من يتلو الآيات البينات.

وكنا في الابتدائية إذا جاءت حصة القرآن أخرجنا مدرس من الفصل للرياضة، فمن رفض دعا عليه: يخرب بيته ولكنه لما أهمل القرآن سلط الله عليه موشى ديان وشارون فأخربوا بيته.

وجاء أستاذ دكتور مثقف عربي الوجه والعقال أمريكي العقل والهوى، فأراد أن يستشهد بآية ليثبت لنفسه شهادة حسن سيرة وسلوك، فما حفظ الآية، فأتى بها من الأول ثم من الأخير فما ركبت فساقها بالمعنى ووقف حمار الشيخ في العقبة.

وقال أحد الأدباء: إذا أردت تثبت أنك مثقف عند هذه النخبة الفارغة البائسة فارطن بالإنجليزي واشرب بيسارك وطول أشنابك وخذ السجارة بين أصبعيك كما قلت:

فمنهم أخذنا العود والسجارة وما عرفنا نصنع السيارة

وسافر من عندنا شباب للدراسة في أمريكا فأتوا لنا بلبس الجنز، وأكل الهانبرقر فقط، ونحن الآن والحمد لله نستورد كل شيء حتى الطباشير والمذيع في التلفزيون يتعشى طعمية ومحشي ويقول: إن العالم حسدونا على ما نحن فيه من تقدم، والتقدم يا أخي ليس (كبري) ونافورة وحديقة عامة، التقدم عقول منتجة ومراكز بحوث ومصانع هدّارة ومعامل شغالة وإنتاج وإبداع مع المحافظة على روح الرسالة الربانية العالمية الخالدة.

ومر شاب مثقف ملقف مجنون بالغرب فوجد شيخاً يدرس الطالب: (الروض المربع في الفقه) فقال: يا شيخ الناس صعدوا على سطح القمر وأنت تدرس الروض المربع، فقال له الشيخ: أنت لا صعدت معهم على سطح القمر ولا بقيت معنا تدرس الروض المربع.

فاصلة

وعند بعض الناس ورع بارد وظلم، كما فعل أهل العراق وقتلوا الحسين بن علي ثم سألوا عن فدية من قتل ذباباً وهو محرم بالحج، وحدثني الدكتور سلمان العودة أن أحداً مدحه البسطاء بأنه يكره الغيبة ولا يسمح لأحد أن يغتاب في مجلسه، فإذا سمع أحداً يذكر شخصاً ولو بخير بدأ يلتفت إليه محذراً ويقول: بدينا؟ مستنكراً وهذا مثل الورع عند من يختطف المواطنة فيعلق صورة الملك في مكتبه ليثبت أنه وطني، يموت في حب الوطن، ثم يسرق المال العام، ويلعب بالثروة ويترك الدوام.

وقد ذكر الدكتور القصيبي في كتابه ثورة في السنة النبوية الحديث النبوي في من غلَّ بقرة بأنه يأتي يوم القيامة وهي على كتفه ولها خوار قال: فكيف من غلَّ الوطن وسرقه كله، وأهل هذا الورع البارد يظهرون في صور شتى، وقد حج معنا بعض التجار يتعاملون بالربا، ويسأل عن سقوط ظفره أو شعره مظهراً الورع والخوف من الله، وبعضهم يسأل عن خضاب الشعر بالأسود وقد ترك الصلاة في المسجد بلا عذر، وصدام حسين صلى المغرب على شاشة التلفزيون فبكى بعض الناس تأثراً بإيمان هذا الرجل الذي قتل الناس بالكيماوي، وذبح العلماء، وذكر ابن كثير أن أحد القضاة عنده وسوسة في الطهارة فيكثر من التطهر وصب الماء وهو يتعامل بالربا والعينة، فانظر إلى سوء التدبر وعمى البصيرة.

فاصلة

وهناك زعيم عربي دمَّر بالطائرات أهل مدينة كاملة في دولته وحضر المولد النبوي وهز برأسه خاشعاً فاغتر البلهاء.

وجمال عبد الناصر حضر مهرجاناً فأخذ القارئ بالأجرة يكرر في سورة النحل: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ﴾ (النحل: ٦) فظن جمال أنه المقصود فارتاح وابتهج وظن أن الله ذكره في القرآن، ثم قتل الدعاة وفرَّ من إسرائيل وسلم الأرض.

وكاد طاغية في مصر أن يتوب ويترك الظلم لما وقع الزلزال فقام شاعر منافق فقال:

ما زلزلت مصر من كيد ألمّ بها لكنها رقصت من عدلكم طرباً

فعاد إلى الظلم.

والكلب المعثر ابن هانئ الأندلسي يقول في أحد الحكام:

ما شئت لا ما شاءت الأقدار فاحكم فأنت الواحد القهار

فابتلاه الله بمرض فأخذ يعوي منه كما يعوي الكلب.

وعلى ذكر الكلب قام كلب بعثي شاعر فقال:

آمنت بالبعث رباً لا شريك له وبالعروبة ديناً ما له ثاني

وبعض الكلاب تحسن التصرف وفيها وفاء يقول شوقي لحافظ إبراهيم:

وحملت إنساناً وكلباً أمانة فضيَّعها الإنسان والكلب حافظ

وأراد أحدهم أن يسلم على رجل فنبح كلب فقال لصاحبه: احبس الرجل لأسلم على الكلب. أخطأ من شدة الفرح.

وعالم السوء مثل الكلب؛ لأن الكلب يلهث في الشمس والظل، وعالم السوء خبيث قبل العلم وبعده.

وأبو حية النميري من أجبن الناس، وقد دخل كلب بيته في الظلام، فظنه لصاً فأخذ سيفاً عنده من خشب سماه ملاعب المنية، وأخذ يهزه ويتوعد اللص، فخرج الكب فسقط سيف الخشب من يده وأغمي عليه، فلما أفاق قال: الحمد لله الذي مسخك كلباً وكفانا حرباً.

obeikandl.com

ودعبل الخزاعي شبَّه المعتصم بالكلب فأهدر دمه، يقول المسكين:

ملوك بني العباس في الكتب سبعة ولم تأتنا في ثامن منهم الكتب

كذلك أهل الكهف في الكهف سبعة وثامنهم فيما أتى عندنا الكلب

لأن المعتصم الخليفة الثامن من بني العباس، وقلة التدبير وضعف العقل والخذلان يحصل لبعض البشر.

والشافعي وجد شيخاً كبيراً يصلي الفريضة جالساً فسأله عن السبب فقال: تعبت أدور على الجواري أعلمهن الضرب بالدف، وبعض كبار السن يسهر على البلوت والشيشة أو مشروب آخر وينام عن صلاة الفجر، وهؤلاء قصدهم ابن لعبون الشاعر وغيره من الشعراء حيث يقول:

رجالهم ما يسفه إلا إذا شاب مثل القرع يفسد إذا كثر لبه

وفي كبار السن أخيار وأبرار لا تخلطهم بالفجار كما قال ابن عويس:

الزين ما ودّك تحطه مع الشّين ودك تخلي كل شي لحاله

وبعض الناس شايب عايب خايب ولو كان عنده ذرة عقل لكان خجل من سن الثمانين يا ستير ... قضاها، والثمانون عجيبة رهيبة بكى منها الشعراء حتى قال زهير:

سئمت تكاليف الحياة ومن يعش ثمانين حولاً لا أبا لك يسأم

وقال آخر:

إن الثمانين وبلغتها قد أحوجت سمعي إلى ترجمان

وقال الثالث:

قالوا أنينك طول الليل يسهرنا فما الذي تشتكي قلت الثمانينا

وقال رابع:

والثمانون ويلها تسلب اللب فأين المعد للموت أينا

obeikandl.com

وبعضهم يأكل فحماً من الكبر وبقي يأمل ويخطط للدنيا ولا يستحيي من الله فأين تذكر الموت وما وراءه والاستعداد ليوم المعاد؟

ورأيت شيخاً كبيراً يجلس عند باب المحكمة مستعداً لشهادة الزور بأجرة!! ليختم بها حياته ونعوذ بالله من الخذلان.

وشاعر شعبي بلغ الثمانين يحضر الرقصات الشعبية، ويقول الكلام البذيء ويلعن ويسب كأنه طفل:

هب الشبيبة تبدي عذر صاحبها ما بال أشيب يستهويه شيطان

والشيب نذير الموت وما بعد الأربعين إلى الانحدار فكيف بمن جاوز الستين؟

وأعرف كاتباً مشهوراً في السبعين من عمره يستهزئ بالدين وينال العلماء ويلمز الصالحين ويغمز السنة النبوية، وأكثر كتاباته في هذا الباب وهذا هو الذي أقر عين إبليس وانخلع من كل خير.

وعلى ذكر ضياع الأعمار في التافه الرخيص فقد رأينا من صرف وقته في الزور واللغو والقيل والقال، ورأيت كبار السن يجلسون في السوق عامة النهار يتحدثون في السخافات ويطلقون اللسان والنظر فيما لا يحل، وبعضهم يسمر كل الليل مع قصائد شعبية في مدح قبيلة وأنها أفضل قبيلة خلقها الله؛ لأن الله أكرمها بافتتاح أول مدرسة ابتدائية فأقامت حفلاً مدة ثلاث ليالٍ ونحرت الإبل ورقص رجالها على الزير وأنشدوا الأناشيد ونصبوا المخيمات، وهذا على منهج العامة في الجهل بالنسبة، والإسراف في المخالفات مثل ما يفعلون في زواجاتهم، فالمهر أكثر من مائة ألف مع تأثيث بيت وشراء سيارة وهدايا لأهل الزوجة وولائم كلها رياء ومباهاة يدفعها الزوج المسكين الذي راتبه أربعة آلاف ريال، ويبقى في سداد دينه ذليلاً طيلة حياته، وهذه المجتمعات قد صعّبت على نفسها الحياة، حتى العزاء له مراسيم عندهم فيجتمعون في بيت الميت ثلاثة أيام على أكل وشرب ومزاح وحكايا مع ضياع الوقت وترك الأعمال، وهذا كله خلاف الشرع.

obeikandl.com

وعلى ذكر الزواجات والمباهاة فيها فقد حدّثني الشيخ عبدالعزيز المقحم أن أناساً من البدو وقع عندهم زواج والعادة عندهم مساعدة المتزوج أمام قبيلته إما بمال أو ذبائح، فجاء اثنان من قبيلته أعرابيان جاهلان وذهبا للبحث عن خروف ليقدماه للزوج أمام الناس، وفي طريقهما أدركتهم الصلاة فصليا بجامع، ثم خرجا مسرعين فأخذا أجمل حذائين عند باب المسجد سرقة، ومرّا بسوق البلدة فوقفا على سوق الغنم واختارا أعظم خروف واتفقا على إشغال صاحب الغنم حتى يهربا فأركبا الخروف في سيارتهما، ثم شردا في لمحة البصر، وصاحب الخروف يصيح أمام الناس دون جدوى، فلما وصلا في الليل إلى مكان حفل الزواج وقفا بالسيارة أمام الناس رياءً وسمعة وأخبرا العريس بالخروف الهدية فشكرهما وأثنت عليهما القبيلة وطلبوا منهما إنزال الخروف في حوش الغنم المجاور فوجدا في الحوش عدداً كبيراً من الخراف فأختارا منها اثنين وأركباهما في السيارة سرقة، شردا على وجه الخفية ولم يشعر بهما أحد، فانظر كيف هانت عندهم مراقبة الله وعظموا الناس فوقعوا في ذنوب كثيرة.

وهذه الزواجات المخالفة للشريعة يجري فيها منكرات يشيب لها الرأس وفي زواج كبير كان يطلق فيه النار بالرمي بالبنادق الرشاشة فقُتِل اثنان في الزواج وتحول العرس إلى مأتم.

وفي الزواج يجمع شعراء شعبيون بأجرة باهظة فيمدح القبيلة وصاحب الحفل والعريس ويسب بعض القبائل، ثم يتهاجى الشعراء فيما بينهم لإضحاك الجمهور إلى درجة اللعن والقذف ويسهرون إلى الفجر وتضيع الصلاة ويذهب المال والجهد والوقت في المنكر، وليس فيهم رجل رشيد يمنع هذا الهراء.

وفي زواج كبير مشهور قام أحد التجار بصنع مأدبة هائلة رياءً وسمعة وأسرف غاية الإسراف مع العلم أنه من أبخل الناس عن الصدقات وفعل الخير، وبعد الحفل أخذ العريس زوجته ووقع لهما حادث مروري وفارقا الحياة في تلك الليلة، وتحولت الأفراح إلى أتراح، وهذا جزاء كفر النعم.

obeikandl.com

والعريس يبقى سنوات يكدح في جمع المهر، ثم يُكلف بشراء ذهب وملابس وإرضاء القريبات والعمات والخالات والأخوات بكافة الهدايا ليتحول إلى فقير متسول يمر على الأغنياء بصكوك الإعسار، فأين العقل والدين ؟! وأشرف نساء العالمين فاطمة بنت محمدﷺ كان زواجها سهلاً ميسراً بسيطاً ﴿وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ﴾ (الأعلى: ٨).

وهذه القبائل والمجتمعات قد شقت على أنفسها في كل شيء، حتى الموت عندهم صار صعباً فعند العزاء تذهب القبيلة عند قبيلة الميت فيختارون منهم رجلاً مجرباً متحدثاً ليعظ الناس عند دخولهم، ثم يدخلون صفوفاً بمراسم متعبة وطريقة محفوظة وتكلف زائد فيبدأ هذا المتحدث بكلام معروف مسجوع وأحياناً لرهبة الموقف تحصل دواهٍ، وأحدهم يدعو للميت فقال: الله يحرم عليه الجنة، والثاني أراد أن يقول: الله ينقل الميت من دار الفناء لدار السعداء فوقف عند قوله: الله ينقل ويكررها، وفي قبيلة الميت رجل عيّار مزّاح فصاح بالواعظ: الله ينقلك أنت إلى تهامة ويريحنا منك.

ومات شيخ قبيلة فجاء أحد مرافقيه وخدامه فبكى على القبر بكاءً مرّاً وأخذ يصيح أمام الناس فلما عاد الناس قال له أحدهم: يا فلان أنت رجل فاجر ولا تحافظ على الصلاة ومعروف بقلة الدين، وش هذا البكاء اليوم على فلان عند المقبرة؟ قال: والله لأتجمل أمام أبناء الميت وأتظاهر بالحزن لمقاصد في نفسي.

وجاءت قبيلة إلى قبيلة للعزاء وشيخهم مشهور بالشرور والذهول والخطأ فلما اقتربوا من بيت الميت كان هناك أطفال يلعبون لعبة معروفة فيصيح الطفل بالأطفال: جاكم بالحصين!! فيقولون: جاء، فعلقت هذه الكلمة في ذهن شيخ القبيلة ودخلوا على أهل الميت والناس صفوف فصاح فيهم: جاكم بالحصين أراد أن يقول: أحسن الله عزاءكم لكن دخلت عليه هذه الكلمة فضحك بعض الناس، وأعوذ بالله من الجهل بالشريعة كيف يجعل الناس يشددون على أنفسهم ويعذبون أرواحهم؛ لأنهم تركوا السنة السهلة الميسرة، حتى يقول أحدهم بعدما درس وسافر واكتشف

أخطاءهم: والله إني سافرت في كثير من البلدان والدول فما وجدت أشق وأصعب من بلدنا حتى إن الثور عندنا بخلاف ثيران العالم ينطح بشراسة والبقرة ترمح، والديك يخمش والهرة تقفز عليك والكلب يفترسك لشراسة أهل البلد وكثرة العنف فيهم، والعنف ما كان في شيء إلا شانه.

وحدثني الشيخ عبدالعزيز المقحم أن رجلاً في قرية من القرى كان شرساً غضوباً سيئ الخلق ما ترك أحداً إلا ودخل معه في مشكلة، فطرد من عمله فأقام مغسلة للموتى وأخذ يغسل الموتى، فقال أحد أفراد قبيلته: تغسيل فلان للميت أول عذاب القبر.

وفي بلد عربي استأجر أهل الميت قارئاً ليقرأ على القبر بأجرة فلما دفعوا له الأجرة وجدها زهيدة حقيرة فغضب وأخذ يقرأ على قبر الميت: ﴿ **خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ** ﴾ (الحاقة:٣٠،٣١).

وفي إحدى الزواجات جاؤوا بقارئ سفيه أحمق فقرأ : (الطلاق مرتان) فطروده، وصار القرآن عند الكثير فقط قراءة في المواسم والأعراس والمآتم والمولد والحفلات ونحي القرآن عن الحياة ففشلت الأمة وذلت وهزمت وعاشت مقهورة.

ومات زعيم ظلوم غشوم سفاك فوقفت حاشيته على جنازته طبعاً بلا وضوء وقرؤوا سورة الفاتحة مظهرين التباكي وهم يحمدون الله الذي قبض روحه ﴿ **وَلَمْ تَكُن لَّهُ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِراً** ﴾ (الكهف: ٤٣).

وأحد الظلمة مات يوم الجمعة فقال محبوه: ما شاء الله يؤمَّن من عذاب القبر؛ لأنه مات يوم الجمعة وسألوا عالماً قال: يعذب يوم السبت إن شاء الله.

وكان هناك قاضٍ مشهور بالظلم وأخذ الرشوة فرفع إلى مرتبة أرفع فجاء الناس يهنئونه فقال أحد الشعراء:

ولما أن توليت القضايا وفاض الظلم من كفيك فيضاً

ذبحت بغير سكين وإنا لنرجو الذبح بالسكين أيضاً

وعلى ذكر القضاة فمنهم العادل البار الراشد وهذا كثير، ولكن منهم قليل الذمة فاقد الورع حتى إن منهم قاضياً في بلدة يرتشي بحيلة فلا يأخذ الدراهم بل

يرفض ويأبى بإصرار ثم يقول: هي حرام علي لكن ما دام أقسمتم أعطوها دولة، ودولة زوجته وعند نفسه أنه بريء طاهر.

إذا جار الوزير وكاتباه وقاضي الأرض أجحف في القضاء

فويل ثم ويل ثم ويل لقاضي الأرض من قاضي السماء

وعلى ذكر تدليس بعض القضاة فإن التلبيس والتدليس منتشر في طبقات الناس لفساد دينهم، فبعض الفقهاء يجيب عن كل سؤال ولا يقول لا أدري؛ ليبقى جاه المسكين عند العامة، وبعضهم يقول: في المسألة خلاف ويسكت، وآخر يقول: الأحوط والله أعلم والذي يظهر لي، فيأتيك بجواب مريض باهت مثل العصا المكسورة، حتى إن بعض الفقهاء لا يميز بين الحديث الصحيح والضعيف، وكل عمدته على كلام الناس من كتب الفقه، والمقلد ليس من أهل العلم، وكان عندنا فقيه يحذر من الاستنباط من النصوص ويجعل بينك وبينها سبعين باباً من التخويف والتحذير والمشقة والاحتراز.

وبعض الخطباء يصور خطبته من كتب سابقة فأحياناً يتكلم في القرى عن مشكلة العمل والعمال ويتكلم في البادية عن الغزو الفكري، وبعضهم يتباكى ويتجاشع ثم يقطع صوته بالبكاء، وربما رتل الآية فمططها، واستعمل المدود والآهات والزفرات، وسمعت أحدهم يتكلم عن فضل قراءة سورة البقرة وأنها تمنع البيت من الشيطان فأخذ يدعو: اللهم اجعل البقرة تدوي في بيوتنا يعني سورة البقرة فصار فهم الناس إلى البقرة، وسمعته يلوم الناس على تقصيرهم في الصدقة ويقول: حتى الفقير ما يجد ما يسد عورته يعني جوعته وقام خطيب أحمق فقال: أيها الناس لا تغتروا والله حتى أنا لا أضمن لنفسي الجنة.

وخطيب اشتهر بالغرائب والعجائب فكان يسوق قصصاً لمن تاب لكن بعد حادث مروري مروع أو خروج ثعبان أو رؤيا منامية هائلة مخيفة أو أعجوبة فكأنه لابد للإنسان قبل أن يتوب من حادث يخلع قلبه ويدهش لبه وقد أعرض هذا الخطيب عن الكتاب والسنة.

obeikandl.com

وبعض الخطباء يهدد المصلين ويتوعدهم وكأن مفاتيح النار في جيبه حتى يستخدم كلمات نابية لأهل المعاصي كمجرم خسيس ديوث، خبيث ساقط، حقير، تافه. والسلام على عفاف اللسان في القول اللين، والحكمة في الدعوة.

وبعض الخطباء يخطب خطبة فكرية في العوام وينقل من الصحف والمجلات ويذكر أسماء الغربيين ويتفاصح ويتبجح، والعقل نعمة على الإنسان وأين: "حدثوا الناس بما يعرفون".

وصليت مع خطيب ضعيف هزيل فغطى وجهه بالأوراق وأخذ يهمس لنا بالكلام ويلحن في العبارات وقد نام بعض الناس وصار هو على المنبر جثة هامدة ﴿ **وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ** ﴾ (ص: ٣٤).

وبعضهم يتحمس ويرفع صوته حتى لو حدثك عن فضل السواك، والخطابة تحتاج إلى إعداد ودربة بعد الموهبة.

والتدليس عند الشعراء كثير بعدما يحذف ثلاثة أرباع الشعراء الموجودين ويؤخذ عليهم التعهد بعدم نظم أي قصيدة، ومن فعل ذلك عزّر بلزوم سوق الخضار ليبيع البطاطس والكوسة فهذا أنفع للأمة، وقد رأيت من شعراء زماننا عجائب، وعندنا شاعر مات من زمن له دواوين كل ديوان في حجم الطوبة أو التنكة أو المسند قد نظم في كل مناسبة مائة بيت ولو افتتح بنشر سيارات لأحيا المناسبة بقصيدة وهو ينظم في حفل تخرج طلبة السادسة الابتدائية وحفل افتتاح صوامع الغلال ورثاء في مؤذن المسجد وقصيدة تبريك لصديقه بزواجه من الرابعة إلى آخر هذا الهلس والكلام الفارغ.

ونظم لي طلاب قصائد كلها نثر ثقيل بارد ممجوج ويرونه شعراً وقد أنذرتهم وحذرتهم وما نفع وقد ضيعوا أوقاتهم؛ لأن الشعر أولاً موهبة.

وحضرت مخيماً فقام مدّع للشعر وقال عن الأمة:

صافحت بدر السما ثم انثنت تتلقى في السماء الكوثرا

ونحو هذا الكلام التافه، ولي صديق سب الحداثيين بقصيدة قال فيها:

obeikandi.com

من يحلق الذقن لا يؤمن على الشنب.

عافانا الله وإياكم من هذه البلوى.

ولنا أصدقاء عندهم مئات القصائد وليس هناك لهم بيت يقول:

باسم عليه، وهذا عيب يا إخوان وتضييع للزمان.

والمتنبئ له فقط خمسة آلاف بيت سارت بها الركبان، وطبقت الدنيا فيكفي أن تطالعه.

وأجروا مقابلة مع شويعر فخرج نافخاً زوره متغطرساً متبجحاً فسألوه عن رأيه في أبي تمام والمتنبئ فقال بحمق وبرود: لا بأس بهما، وما أحسن عشر جلدات بسوط لين على ظهور بعض الناس ليعرف مكانة الناس.

وعلى ذكر الشعر فقد وقع لي مواقف محرجة مع الشعر، فقد نظمتُ قصيدة في حفل مخيم صيفي بأبها حضره مدير جامعة الإمام وبعض المسؤولين وأمة من الناس وظننت أن القصيدة في جيبي وأنا لا أحفظها، وقد أخذها مني أحد الأصدقاء وذهب يزور أمه، فلما وقفت أما الجمع بحثت عن القصيدة، فلم أجدها فقلتُ بكل برود: حصل خير فقد أخذ فلان قصيدتي وذهب يزور أمه وإذا رجع ألقيتها عليكم.

وعلى ذكر المواقف المحرجة فقد ألقيت كلمة مؤثرة في مسجد بجازان فصاح أحد الناس وبكى وشهق فحمدت الله في نفسي على القبول، فقام أحد الناس إلي وقال: خفف على هذا الرجل فهو مصاب بمس الجن فسكتّ خجولاً وذكر أحد الدعاة المشاهير أنه قام في المسجد في قرية بعيدة ونسي مبلغاً من المال في سيارته فلما بدأ كلمته تذكر المبلغ فأخذ يخلط في الكلام ويستعجل فكلما قام أحد المصلين أجلسه خوفاً أن يخرج ويمر على المبلغ حتى أنهى كلمته سريعاً وعمد إلى السيارة، وحب المال مركوز في الفطرة ولا يغرك من سب المال فهو عاجز عن الحصول عليه على مذهب: حامض يا عنب، وكلفوا رجلاً أعرابياً في مسجد بإلقاء كلمة على عادة بعض الجماعات فاعتذر بالجهل، فقالوا: افتح فمك ويفتح الله عليك، فتكلم بقصة

obeikandi.com

سمعها وهي خروج الرسول ﷺ وصاحبه أبي بكر من مكة إلى المدينة ثم قال: فطاردهم الكفار فشق الله لهم البحر، فقال أحد الحضور: أنت دخلت في قصة موسى وهارون، فرد عليه وقال: اسكت هذه القصة في البخاري وإن كنت شاك بصدقي فشوف أولاد عمومة البخاري بخارية خبابيز في مكة فاسألهم، فضحك الناس، والجهل بالدين عند الأمة منتشر لبعدهم عن تعلم العلم وهذا أعظم محبط للأمة ومعطل لقدراتها.

والأمة مع الجهل عندها نفاق اجتماعي كبير ولكنا شاركنا في ذلك، أعرف شاعراً حلف في قصيدة لأحد المسؤولين ما عرف العالم مثلكم وهذا على ذمته، وذكر أن ملك سليمان صفر، بالنسبة للملك الحالي (وإذا بليتم فاستتروا).

وعقد حفل في مكة لتوديع داعية شيخ فاضل طاعن في السن وانهمرت قصائد الوداع بذكر محاسن هذا الشيخ ووقع الغلو وكثرة الإطراء والمبالغات حتى ما ظفر شيخ الإسلام ابن تيمية بعشر هذا، وهذا دليل على إفلاس الأمة.

وأحد القضاة نقل من الجنوب إلى الرياض وهو شاب ليس له في القضاء إلا سنوات معدودة فعمل له أهل المنطقة حفلاً كبيراً وألقى الشعراء قصائد هائلة ولم يستحيوا من هذا الإطراء والمبالغة المقيتة، وأشهد أن صاحب العظمة والكبرياء والجبروت هو الله وحده، أما نحن فضعفاء فقراء مذنبون محتاجون.

وكنت في المكلا جنوب اليمن فقام شاعر يقول لي: يا صاحب العظمة، فنفرت من ذلك وصحت: أبرأ إلى الله، صاحب العظمة الله وحده.

ورأيت موظفين يكتب بعضهم على مكتبه الدكتور فلان رئيس شعبة كذا في قسم كذا في كلية كذا في جامعة كذا، وعنده براويز معلقة بكل ورشة شكرته أو صاحب محل بنشري أثنى عليه أو راعي بقالة مدحه أو مهبول قال فيه قصيدة، وقد جلست مع بعض المسؤولين فحدثني عن نفسه ساعتين وعن إنجازاته وسفرياته ونبوغه ومن لقي وماذا قال وفعل ثم هو صاحب شهادة ثالثة ابتدائي ليلي.

obeikandl.com

ورأيت حفلاً في دولة عربية لرئيسهم فوالله ما بقي من الثناء الزائف والمدح الكاذب والنفاق إلا أن يقال: أنت ربنا الأعلى!! - ﴿**سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا**﴾-.

وبعضهم ألف مذكرات حياته فجعل نفسه كأنه نبي معصوم فذكر كل جانب مشرق ونجاح له وكتم علينا الدواهي كما قال برناردشو: إذا قرأت التاريخ فاعلم أن هناك شيئاً مسكوتاً عنه وهو الحقيقة.

وزرت أديباً شهيراً بلغ الثمانين فإذا هو يكتب عن أودية الجزيرة عن وادي الرمة ووادي بيشة وعن رمال الدهناء وأعوذ بالله من نقص البصيرة وماذا نستفيد من كلام تجاوزه العلم وقد نزل الناس على عطارد والمريخ ولو صرف جهده فيما يقربه من الله أو ينفع الأمة لكان خيراً وليته في الثمانين فتح المصحف وأدمن النظر وبكى على تفريطه وأكثر من التوبة والاستغفار.

وكان عندنا عالم آثار وتاريخ مشهور كان يحدد الأماكن والقبائل والأنساب ويسافر ويسهر ويلقى الصعاب من أجل بلده أو قريته وكان يعرف هكذا: بلدة كذا عن يمين الداخل إلى مكة وعن يسار الخارج منها ومعلوم أن ما كان على يمينك داخلاً يكون على يسارك خارجاً والحمد لله على هذه الفتوحات، وبعضهم أفادنا نفع الله بعلومه أن مدينة جدة بفتح الجيم والضم والكسر فوسع على الأمة وسع الله عليه، وأحدهم كتب تاريخاً فصار ضحكة فكان يذكر الحدث العالمي الهائل بجانبه حدث تافه سخيف، فيقول: ثم دخلت سنة كذا وكذا وفيها التقى الروس والألمان في بلغراد في معركة طاحنة وفي نفس السنة طاحت مئذنة جامع عنيزة ثم بنيت بالطين فيما بعد.

وعلى ذكر تلبيس إبليس على الناس فأذكر بعض أصدقاء وزملائي تركوا الدعوة ونفع الناس منهم دكتور فاضل عابد يختم القرآن في أربعة أيام وترك مسائل العلم والدروس والمحاضرات وحبب له النوافل بينما النفع العام والدعوة إلى الله أفضل وأرفع مما فعل.

وطالب علم ذكي موسوعي اشتغل بالمسائل وغوامض العلم عن المقاصد وتعمق في فنون بعيدة عن الكتاب والسنة فصرف الجهد والزمان في غير طائل.

وأعرف طلبة علم سهروا وحصلوا وحفظوا وتعبوا وبعضهم يحمل الدكتوراه فلما تخرجوا تركوا الطلب ونسوا حظاً مما ذُكروا به وانصرفوا، هذا لتجارته وهذا إلى عقاره، وهذا إلى زوجاته وصاروا كالعوام يحضرون كل مناسبة ويشاركون في الأفراح وخف عليهم القيل والقال وثقل عليهم العلم.

ولبس الشيطان على بعض التجار فصرف عمره لله في طلب المال وتحول خادماً وصار عبداً للدرهم والدينار وترك حق الله في المال وبجانبه فقراء وأيتام ولا يشعر بهم، ومنهم من خذله الله فحارب بماله الدين والفضيلة وأقام قنوات تهدم الأخلاق.

ولبس إبليس على بعض الموظفين فأخر معاملات الناس واحتجب عنهم وقبل الرشوة وأخل بالدوام فأكل الحرام ونسي الواحد العلام.

وعلى ذكر النفاق الاجتماعي فنحن مسرفون في المديح والثناء على الناس وقبول الإطراء والفرح به فعندنا مدير المدرسة مسدد ملهم وتجد طلاب مدرسته خمسين طالباً في أحواش غنم، وخطيب مسجد الحي مصقع وهو خطيب الدهر وأعجوبة العصر وهو يقرأ الخطبة من أوراق ويغلط في الورقة سبع مرات، وشيخ القبيلة داهية الدواهي وحصن المكارم وبطل الفتوحات وهو عامي لا يعرف نواقض الوضوء ولا يقرأ رسالة، وحارس المرمى أعجوبة، والأمة إذا أفلست في واقعها فرت إلى الألقاب والأوهام والمنامات.

وأعرف من يمدح الناس في وجوههم ومن يسبهم إذا غابوا، إذا رأيت من يبالغ في مدحك فهو لا يراك في تلك المنزلة، ومن عرف الناس ارتاح فلا ينفع مدحهم ولا يضر ذمهم فهم كالأموات.

ومواقفنا مزاجية في الغالب حسب الطقس، وكنت أخطب الجمعة فتعرضت لثورة الخميني بالنقد فجاءني تنبيه بالمنع ولما قام الإيرانيون بالمظاهرة في مكة طلب منا التنديد بالخميني ومنهجه ثم تحسنت العلاقات فمنع الانتقاد.

obeikandi.com

وصدام حسين مدحه الشعراء حتى أوصلوه النجوم ثم لعنوه وتبرؤوا منه.

وكنت أنا والدكتور سعد نبين الحق ونحذر من الغلو في قناة mbc فجاءنا من بعض الجهات العلمية نقد فلما ظهرت فتنة الغلو دعينا لنقول أكثر من ذاك الكلام وما أحسن الوسط في كل شيء.

وأعرف أحد العلماء كان يسب الشيعة أشد السب فلما قامت العلاقات مع إيران عاد فأحسن الكلام وأخذ يقول كلاماً عاماً يفهم منه التفهم والحوار ونحو ذلك.

وأعرف من تشاغل بعيوب إخوانه الدعاة وترك أعداء الإسلام وكلما نصح قال: هم أخطر من اليهود والنصارى يقصد الدعاة ولا يذكر لهم حسنة وإذا اعتذروا قال: هذا تدليس وتلبيس لا يقبل وكل ذلك حسد وبغي.

حدثني سفير اليمن في السعودية السابق الدكتور محمد الكباب أن الرئيس الحمدي كان سريع البديهة ويكره رجلاً أسمر في حكومته فقال هذا الرجل الأسمر للحمدي: والعسكري، وسكت فرد الحمدي: لا تشترِ، وسكت فلما انتهى الجمع سألوا أحد الأدباء عما سمعوا، فقال الأديب: أما قول الرجل الأسمر للحمدي: والعسكري فقصده قول الزبيري:

والعسكري خبيث في مذاهبه كأن إبليس بالطغان رباه

وكان الحمدي حاكماً عسكريًّا

وأما قول الحمدي في رده: لا تشترِ فقصده قول المتنبئ:

لا تشترِ العبد إلا والعصا معه إن العبيد لأنجاس مناكيد

لأن الرجل أسمر.

وذكر في هذا بسرعة بديهة بعض الخلفاء والأمراء فأبو جعفر المنصور أخذ رجلاً يدله في المدينة ونسي أن يعطيه الأجرة فقال الرجل: يا أمير المؤمنين هذا بيت الشاعر الأحوص الذي يقول:

obeikandl.com

يا بيت عاتكة الذي أتغزل

فقال أبو جعفر لأصحابه: أكملوا لي القصيدة فوجد فيها:

وأراك تفعل ما تقول وبعضهم مذق الكلام يقول ما لا يفعل

قال أبو جعفر : ادفعوا له الأجرة.

وأنا أوصي إخواني الدعاة والكتاب والأدباء بالبساطة والتيسير وترك التكلف والتعمق كما قال المتنبئ:

إنما يحصل النجاح مع الطبع وعند التعمق الزلل

وكان الشيخ محمد متولي الشعراوي آية في بسيط العبارة وقد سألت رجلاً عامياً مصرياً عن أسلوب الشعراوي، فقال إنه يذوب لنا الكلام في سكر في كوب من حليب.

والشيخ علي الطنطاوي كان آية في حسن العرض والبساطة وسهولة الطرح ففهم عنه الجمهور.

وكنا نجلس مع العلامة الشيخ ابن باز فيتكلم كلاماً سهلاً قريباً يفهمه كل أحد، فوضع الله له القبول وعم نفعه، وعرفت أناساً من أهل العلم يتكلفون في كلامهم ويصعبون العلم وأحدهم يلقي دروساً لا يحضرها إلا ستة لصعوبة شرحه فقل الانتفاع.

وعجبت لمن صرف علمه في بعض الفنون مع قلة نفعها وعدم الحاجة إليها، فأحدهم جمع مجلدات في الشعر الشعبي العامي وأخذ يترجم لهؤلاء الشعراء ويذهب أوقاته في تتبع قصائدهم فيا لقلة فائدة عمله ولم يقبل على مجلداته أحد.

وعلى ذكر ضياع العمر فبعضهم جالس في بيته ينتقد كل أحد ولم يفعل شيئاً من العمل النافع فتراه يسب الحكام صباح مساء، ويغتاب العلماء فهو مدة خمسين سنة متوتر غضبان محتد ولم يشعر به أحد وإنما أهلك نفسه .

obeikandl.com

وبعضهم خصص حياته وليله ونهاره في الرد على سيد قطب وتحذير الأمة مع العلم أنه ترك أعداء الإسلام ولم يتعرض لهم بل إنه لم يذكر جمال عبدالناصر قاتل سيد بكلمة واحدة.

عرفت شيخاً طيب القلب عابداً صادقاً يلقي بعض الكلمات ولا تخلو من عجائب، مرة أوصى الناس بتسبيح ٣٣ بعد الصلاة، وتحميد ٣٣ وتكبير ٣٣، ثم قال فهذه ٩٩ ريال، وأذن للعصر فقال: الصلاة خير من النوم ولما قام جهيمان بحادث الحرم قال: ليت جهيمان ترك الخروج على الدولة حتى تخرج الدولة عليه، ونحو ذلك من الحديث.

ووصيتي لمن ليس له فهم في مسألة أن يترك الحديث فيها.

وأعرف رجلاً عامياً في قرية مشغولاً بالأخبار وسماع إذاعة لندن ثم يقوم في المجالس بتحليل الأخبار فيأتي بعجائب فيقول مثلاً: يا ليتهم وافقوا أنور السادات على الصلح وليت القذافي يحتل إسرائيل، وأظن ما في العالم أقوى من جيشنا، وأخاف من اليمن يدخل على السعودية ولا تسمع إلا الضحك عليه والتعليق ولو ترك هذا كله وأكثر من ذكر الله لكان أنفع وأفيد لكن التوفيق للخير عطاء من الله.

تابعت أحد الكتاب مدة من الزمن فإذا كل كتاباته حول النيل من الدين وغمز المتدينين، مرة يتعرض للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ويذكر أن هذا تطفل وتدخّل في خصوصيات الناس، ومرة يذكر أن الدعاة متسترون بالدين وأن لهم مقاصد أخرى ويهاجم الحجاب فطال عجبي ممن هذا صنيعه، ما سبب هذا العداء لدين الله فعلمت أن التوفيق من الله وحده.

دخلت على صاحب معرض سيارات في الرياض مشهور له ثلاثون سنة في بيع السيارات فقال متعجباً: لماذا ما يكون عندنا مصنع للسيارات وعندنا المال واليد العاملة والإمكانيات ولماذا نبقى على الاستيراد فقط؟

قلت: الاستيراد في كل شيء ليس في السيارات فحسب فمتى يكون عندنا اكتفاء وتصنيع واعتماد على النفس ونترك الدعاوى العريضة وقصائد المدح في سوق عكاظ والاستعراض بالتراث الشعبي البائد الذي ستره أحسن من إظهاره؟

openkandil.com

فاصلة

الحمد لله الذي أنزل الحدود في القرآن، ولقد ذهبت في قضايا قتل في السعودية ووجدت بعض القتلة لو لم يكن هناك قصاص لعاثوا في الأرض فساداً ولو ألغيت الحدود كما يطالب مرضى القلوب لافترس الأقوياء الضعفاء، فكم رأيتُ من فاجر شرس يقسم لولا حكم الشرع لقتل فلاناً وفلاناً، فالإسلام هو الذي شرع حقوق الإنسان، أما الغرب فدوخونا بجمعيات الرأفة بالحيوان وقد قتلوا الإنسان في الشيشان وأفغانستان!!

فاصلة

وقع زواج كبير في الرياض لرجل أعمال مشهور فأسرف وأنفق المال جزافاً ودعا الناس من أنحاء المملكة وأحضر الشعراء واستأجر الفنادق وأرسل التذاكر، ثم الحصيلة أنه زوّج ابنه لفتاة كما يتزوج سائر الناس، لكن انظر إلى هذا وأمثاله في البذل في سبيل الله من بناء مسجد أو كفالة يتيم أو مساعدة فقير وإنما شح وتقتير ويا لسخافة من همه مراءاة الناس والبهرج الكاذب والمدح الزائن، والآن نسي الناس الزواج والحفل.

حدثني الدكتور عبدالله الجعيثين أن صديقاً له أصيب في حادث عطل عنده العمود الفقري فأصيب بالشلل ولزم منزله تسعة عشر عاماً فضجع على ظهره وملته زوجته وبقي معه ابنه ينام في الغرفة المجاورة ولا يستطيع أن يوقظه إذا أراد شيئاً وكوب الماء بجانبه لا يستطيع أن يرفعه إلى فمه ويقع الذباب على يمينه فلا يستطيع طرده -رحماك ربي- فهل فكر أحد في نعمة الله عليه وحمد ربه وأطاعه وحافظ على النعم بمزيد الشكر.

فاصلة

بعض الناس متفنن في الإرجاف ونشر الشائعات وأعرف رجلاً من الأصدقاء كلما جلست معه خوفنا بشيء سوف يحصل وعنده تحفظات وهواجس وأمور غيبيّة صعبة، المهم أنه لا بد أن يزعجك مرة أن الأسعار سوف ترتفع والبرد لهذه السنة

obeikandl.com

سوف يكون قارساً والأمطار قليلة ويخشى من حرب قادمة ثم بعد زمن يصبح كلامه هباءً منثوراً ثم يواصل الأراجيف والشائعات، وهذا رجل مريض نفسياً يجب الابتعاد عنه والدين يخبر وإن مع العسر يسرا والرسول ﷺ كان يعجبه الفأل.

فاصلة

كلما طالعت تلفازاً عربياً محلياً فإذا شغله الشاغل بالزعيم الأوحد ثناءً ومدحاً وتبجيلاً مع ذكر أخباره ودقائق تفصيل حياته، واختزلت حياة الأمة بأسرها في حياة رجل وقدس الأشخاص وصاروا أرباباً من دون الله، يا قوم لا تغلوا في دينكم، واقتصدوا من هذا المدح الزائف، يا كتّاب يا مذيعون، يا شعراء، يا ناس العظمة والكبرياء لله وحده كيف تغلو في رجل يدخل الخلاء وينام ويموت ثم ما هي الإنجازات والمعجزات الوهمية التي نسمعها والجهل منتشر والفقر فاش والمرض يفتك بالبشر، وإذا فتح طريق أسفلت طوله عشرة كم لقامت الاحتفالات وألقيت القصائد وصفق الجمهور وذبحت الجمال والخراف، مظاهر خادعة وزيف مكشوف، ولو صرفت هذه الأموال على الفقراء لحصل الأجر وسد الحاجة.

فاصلة

حضرت مجلساً فيه خليط من الناس وغالبهم يريد أحاديث دنيوية عامة فأردتُ أن أوجه المجلس إلى الدعوة وذكر الله فذكرتُ قصة عن عمر بن الخطاب، وفي أثناء القصة توقفت قليلاً فقاطعني أحدهم وسأل جاره عن أحوال شيخ قبيلة، كأنه يقول لي: كفى اسكت لو سمحت، فصمت متعجباً من عدم حبهم لما ينفعهم، ثم قضى المجلس كله في قيل وقال وكلام فارغ فأخذت أهرب من هذه المجالس، واعتذر عن الحضور، وهذه غالب المجالس أكل وشرب وكلام متهافت فارغ إن لم يكن فيه غيبة، ولكن سل الحضور: كم قرأ أحد منهم من القرآن؟ وهل طالع كتاباً نافعاً؟ وهل تصدق بصدقة؟ وهل نفع مسلماً؟ العمر يا إخوان يمضي ونحن واقفون.

فاصلة

ومن الدروشة لبس المزري من الثياب إذا تدين الإنسان فتراه يلبس المقطعات وثوبه إلى الركبتين فيصبح الثوب فنيلة علاقي والفترة مكوية من عيد الفطر الماضي

واللحية منتفشة شعثة غير ممتشطة ولا طيب ولا سواك!! لماذا يا إخوان هذه الدروشة، لماذا نزري بالإسلام حتى يظن من رآنا أن الإسلام أمرنا بهذا؟ لقد كان الرسول ﷺ طيباً نظيفاً زكي الرائحة يلازم السواك والغسل والمسك، وهذا قدوة الناس، فمن أين جئتمونا بهذا الزهد الأعرج والحالة المزرية ؟ وبعضهم تشم منه في الصلاة رائحة الثوم والبصل، وبعضهم لا يغتسل بالصابون والشامبو إلا نادراً وبعضهم لو غسل ثوبه لخرج الوسخ والدرن منه ما يصنع منه بلاطتين، فيا قوم دعونا من هذه الحماقات وجملوا الإسلام وعليكم بالترتيب والنظام والطيب والنظافة.

فاصلة

قام واعظ فذكر في نصف ساعة عشرة مواضيع من بر الوالدين وحسن الخُلق والصدقة وإكرام الجار إلى آخره، يقفز من موضع إلى آخر ثم يعود بلا تحضير ولا ترتيب للفكرة، فخرج السامع مبعثر الفكر مشتت الخاطر، يا وعَّاظ لا تطولوا على الناس وحضروا قبل الكلام والزموا موضوعاً واحداً واتركونا من افتعال البكاء والتلاحين بالقرآن في أثناء الموعظة ودعوا الحديث الموضوع والقصص المكذوبة حتى ينفع الله بكم، ما لكم يا وعّاظ زماننا تتصيدون الشهرة والظهور وجذب الناس إليكم، فتجد الواعظ عنده عشرة بشوت يخطب الجمعة ببشت أسود والعيد ببشت أحمر والزواج بأبيض والعزيمة بأصفر والسفر ببني والمهرجان بعودي وهكذا الله يعوضنا في الإخلاص ويرزقنا الصدق.

فاصلة

أعرف كاتباً سخر جهده ووقته في الغمز من قناة الإسلام تعريضاً وتلويحاً ونقداً وتشويهاً والعلماء عنده مدلسون والدعاة ملبسون والشباب إرهابيون ومناهج التعليم محرضة والخطباء أهل فتنة، يعني كل شيء له علاقة بالدين فهو باطل، قاتله الله مع العلم أنه نجعة مع الأمريكان والغرب فهو يثني عليهم ويدللهم ويشيد بأعمالهم ويتأدب مع أسياده ويتكلم بحفاوة وإعجاب، ﴿ **وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا**

﴿إِنَّا مَعَكُمْ﴾ (البقرة: ١٤) عجباً لك تقف من دينك وأمتك هذا الموقف المزري المخجل الدنيء الخسيس بينما تدافع عن أعداء الإسلام وتحبهم وتتولاهم، إنها انتكاس الفطرة وخواء الضمير، ويا مقلب القلوب، ويا حسرتاه من الخذلان واتباع الشيطان، أين التشرف والفرح بالانتساب للإسلام؟

فاصلة

أعرف شاعراً شاب وما تاب من الغزل والسباب، ومدح القدود والخدود والأهداب، كل شعره في عيونها السود وقفتها ورمشة حاجبها وهو يشكو من سهام الحب وملاعق العشق وصحون الغرام وسكاكين الهجر أشغلنا بهذا الهلس الفاضي، الله يشغله، ودوخنا بقصائد طويلة عن تعلقه بالجمال وكيف تعرض لنظرة عشق فجأة وهو مار من عند الفوال بشارع منفوحة بجنب صيدلية العيدروس خلف فرن الفلاح وأمام بنشر التعاون وكاد يموت الله يأخذ روحه، ثم تشافى من مرضه لكن ما نسي حبيبه، ثم سافر إلى القاهرة فشاف في شارع فؤاد الغزلان ونظم قصيدة كلها آهات من الهوى والجوى والنوى، وراح إلى دمشق وفتن بدمشقية هيفاء صفراء عجفاء تمشي الهوينى وعليها جلباب أزرق هذا شاعر مهبول مريض شغلنا حسبنا الله.

فاصلة

رأيت في قناة فيلسوفاً مفكراً محنطاً شايباً وهو من المغرب ويقيم في فرنسا أصلع الرأس سقط حاجباه من الكبر كل حديثه عن سقراط وبقراط وبطليموس وجالنيوس وأفلاطون وأرسطو، وهم لديهم مفاتيح المعرفة وهداة العالم وأبواب الفتح، وجاء يذكر آية فغلط ولحن وسعل وتنحنح ثم سكت ثم عبس وبسر ثم أدبر واستكبر، فسبحان الهادي وحده، هذا العجوز المسن سخّر عمره كله في علم ظني وهمي بائد عن قوم محتارين شكواهم من القلق والحيرة والاضطراب، ليفهمنا أنهم عباقرة ومبدعون، الآن يا أعمى القلب يا خاوي الضمير جاءتنا شريعة ربانية عالمية فيها هدى ونور وشفاء لما في الصدور وأنت تبغي تشغلنا بهذا الكلام الفاضي

السخيف والتوهمات والترهات عن الآيات البينات انتبه يا غبي، استفق يا مخذول، اصحَ يا غافل: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ (يونس: ٥٧).

فاصلة

رأيت بعض الأطباء مهر في الوعظ والدعوة وعلى شكري له لكن أخشى أن يقصر في عمله ويقصر في الوعظ لعدم إلمامه بغير تخصصه ورأيت بعض المؤرخين يكتب في الفقه والحديث والأصل احترام التخصص؛ لأن الذي يتكلم في غير فنه يأتي بالعجائب ولا بأس بالمشاركة في أكثر من علم وفن بالحد الأدنى لكن لا يترك الإنسان تخصصه ويقفز لعلم آخر أو حرفة أخرى ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ﴾ (البقرة: ٦٠) والثوب لا يعرض على النجار والباب لا يصلح عند الخياط، ولكن بعض الناس رفض إلا أن يخبرنا على أن نصدق أنه شاعر وهو لا يقيم بيتًا وبعضهم خطيب بالغصب شاء من شاء وأبى من أبى وهو إذا تكلم أصابتك من كلامه حمّى، وغالب الناس مغرور بنفسه معجب بصوته هائم بشخصيته والعقلاء وحدهم يعرفون أنفسهم ويعترفون بأخطائهم.

فاصلة

نهينا عن التكلّف يا إخوان، بالله بسِّطوا الأمور يسِّروا على الناس في كلامكم وتصرفاتكم لماذا إذا أراد بعض الناس أن يتكلم تشدَّق وتقعَّر وأغرب في الكلام فيصبح ثقيلاً مملولاً فعليكم يا ناس بالبساطة حتى في اللباس والطعام والكلام، أريحوا نفوسكم من التشدد ولا تعذبوا الناس بالمشقة وثقالة الدم، من خطب منكم فليوجز ومن تكلم فليختصر ولا تتعبوا أنفسكم ولا تتعبوا الناس، وكم أعجبني الشيخ ابن باز بيسره وبساطته؛ فكان يكلم العامة بكلام عامي سهل ولا يحبِّر ولا يزوق الكلام بل يلقيه على سجيته فيجعل الله له نفعاً وقبولاً وأثراً وكذلك الشيخ الطنطاوي يتحدث ببساطة على سجيته فيسبي القلوب، ورأيت طلاب علم إذا أرادوا التحدث زوّقوا كلامهم وفخموا العبارات وتكلموا للعامة باللغة العربية الفصيحة فصاروا ثقلاء ونفر الناس منهم.

obeikandl.com

فاصلة

وجدت طلاباً ما ثبتوا على قسم يدخلون قسم الشريعة عاماً ثم قسم الاقتصاد عامين ثم قسم الطب وهكذا فلا ترك الدراسة وتوظف ولا واصل دراسته وتخرج بل هو مشتت العزمات مبدد الطاقة كما ذكر علماء الهند أن الحمار مات بين التبن والماء؛ لأنه يمشي إلى الماء فتذكر أنه جائع فيذهب إلى التبن فإذا قرب منه تذكر أنه عطشان فيهرول إلى الماء وهكذا، حتى مات بينهما، يا إخواني ادرسوا الموقف وصمموا وتوكلوا على الله فالعمر قصير والتذبذب بلوى وصرف السنوات في التنقل بين الأقسام فوضى، واعلم أن من ثبت نبت ومن فتح له في شيء فليلزمه والرجاء عدم إهدار الطاقات في الجري وراء الوهم، النجاح ثبات وصبر والفشل تضجر وقلق والسلحفاة سبقت الذئب؛ لأنه شغل بصيد في طريقه.

فاصلة

من نصدق؟ إذا وقعت بالأمة مصيبة أحالت طائفة السبب على الطائفة الأخرى، فالعامة يتهمون الحكام بالظلم والاستبداد والحكام يرون أن العامة أهل فتن ومشاغبات، والعلماء يشكون من جهل الناس وسوء أدبهم، والفقراء يتهمون التجار بالجشع والبخل، وكل فريق ناقم على الآخر، والصحيح أننا كلنا صنعنا المشكلة ونتشارك جميعاً فيما حل بنا، وإنما صلح وضع الخلافة الراشدة؛ لأن الخلفاء عدول صالحون والعلماء بررة أخيار والقضاة أتقياء والأغنياء متقون والعامة سامعون مطيعون، ثم اختلف الحال عندما وقع الحيف من المسؤول والتقصير من العالم وعدم النزاهة من بعض القضاة وسوء أدب العامة، فصار جسم الأمة مريضاً، فيا إخوان كل واحد يصلح سيارته ويكنس أمام بيته ولو نظف كلٌّ شارعه لنظفت كل الشوارع.

فاصلة

رأيت أناساً من كبار السن من العامة أشغلوا أنفسهم بتوافه الأمور من حفر آبار لا تخرج ماء وهم في سن الثمانين ومن بناء جدران في أرض ميتة ومن جلوس طويل مع أحاديث فارغة وأسمار تافهة فسألت الله السلامة، قرب الأجل، انصرم

العمر، ثم ما هو المردود من هذه الأفعال فلو ذهب أحدهم لأخذ عُمرة في البيت العتيق، أو صلى ركعتين وجلس يقرأ في المصحف كل حرف بعشر حسنات، أو سبح الله وذكره، أما هذا الإجهاد وضياع الوقت فأمر مؤسف وبعضهم في الثمانين ويلعب بلوت حتى الفجر ولا ذكر ولا تهجد ولا تلاوة، مثل هذا في هذا السن يكون لديه كفن معلق فوق رأسه ينظر فيه صباح مساء:

دنت الخيام وقد دنا الركب والنائمون مع الصبا هبوا

فاصلة

قرأت كتاب: (كيف تمسك بزمام القوة) لروبرت قرين فوجدته يعلم الخبث والمكر والخديعة والغدر، فقلت لو كان عنوانه: (كيف تكون خبيثاً) لكان أليق به، ما هي الحاجة لنعلم الجيل اللف والدوران والكذب والزور وقد أتتنا شريعة ربانية تعلم الصدق والطهر والعفاف فكيف نعلم الناس الختل والخيانة، عيب يا ناس، لا يجوز هذا العمل، حتى إن صاحب هذا الكتاب يوصيك أن تلفت الانتباه إلى شخصك ولو بفضيحة أعاذنا الله من ذلك، ويرى أن عليك أن تظهر غير ما تبطن لتنقض على فريستك إلى غير ذلك من الأساليب الذميمة الملتوية، فيا إخوان: الصدق الصدق ومراقبة الله وحده، ثم ما هي الدنيا حتى يحرص عليها ويتكالب عليها هذا التكالب؟ عمر قصير فتعلموا العلم النافع ودعونا من كتب الغدر والخيانة.

فاصلة

نعقد مجالس طويلة عريضة تحت لافتات العلم الإسلامي، ومصلحة الدعوة، وما يهم الأمة، وتدارس الأوضاع، واكتشاف أدواء الأمة وغير ذلك من العناوين البراقة الخادعة ثم لا نتيجة ولا ثمرة إلا تناول الكبسة بلحم خروف أو عصيد أو هريس مع مرطبات ومشروبات وحلويات وسمرات، فعلينا بالجد وعدم الذهاب وراء الأسماء والعناوين الخادعة فقد يجتمع اثنان على عمل نافع مفيد وقد يجتمع مائة رجل على كلام فارغ، تعبنا يا إخوة من ضياع الزمان وخديعة الناس بهذه الاجتماعات السخيفة، وخير للإنسان أن يبقى في بيته بلا اجتماع وقد حفظ وقته وأطاع ربه ونفع نفسه.

openkanar.com

فاصلة

بعض الناس عنده أرشيف لقصاصات الأوراق، وملف لنتف الأخبار ودولاب لمنشورات العجائب، ومحفظة لصور الذكريات، وحقيبة لرسائل الأصدقاء، وهذا إشغال للنفس وإجهاد للذهن ثم ما هي الفائدة، كلام في كلام وخرافة وأوهام، ما ثمرة هذه التفاهات وما مردودها؟ وتحفظوا يا إخوان من العلائق والعوائق وعليكم بالحقائق والرقائق، ما فائدة أن تجمع الآثار في غرفة والتحف في غرفة والصور في غرفة ثم تشغل نفسك بالترتيب لها، حدثوا أن عالماً جمع كتباً كثيرة وملأ حجرات بيته ثم اشتغل بها ترتيباً ونسخاً وتنظيفاً حتى أشغلته عن قراءتها والاستفادة منها وتعليم الناس أو التنفل والتزود للآخرة.

وذهب رجل للحج فعرضت له حية في الطريق فقتلها ثم أخذ يبحث عن الحيات ويقتلها حتى حج الناس وفاته الحج.

الاستبداد بالرأي

بلينا بإعجابنا برأي شيخ القبيلة وحده المتكلم الرشيد السديد وهو على صح دائماً والقبيلة بأسرها على خطأ إذا خالفته، ومدير المدرسة ملهم عبقري ومن خالفه من الأساتذة فقد باء بالخسران، والمفتي ينبغي أن يؤخذ كلامه وحده دون غيره حتى في فروع المسائل وإن خالف الدليل، والصحيح أن الرأي يؤخذ ويرد والناس لهم اجتهادات ووجهات نظر تسمع وتناقش والمعصوم محمد ﷺ وحده، وعلينا أن لا نحصر الحق والصواب فينا فحسب بل نتهم آراءنا ونستفيد من غيرنا وقد ذم الله فرعون؛ لأنه قال: ﴿مَا أُرِيكُمْ إِلاَّ مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلاَّ سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ (غافر: ٢٩).

فاصلة

حضرت مأدبة طويلة عريضة فيها من كل ما لذ وطاب من ذبائح الجمال والبقر والغنم والدجاج والطيور والأسماك والحلو والحامض والحار والبارد وكل مشروب ومطعوم ثم ما أكل الناس إلا أقل من العشر ورمي الباقي في الحاويات

obeikandl.com

والنفايات وطرحوه في سيارات البلديات بلا خوف من الله، ثم خرجت وإذا ثكنة عمال هنود وباكستان لا يجد أحدهم إلا رغيف الخبز اليابس ولم يظفروا من هذه الوليمة الضخمة ولا بقطعة لحم، فهناك بذخ وإسراف وهنا جوع وفقر، أين نصوص الأخوة الإنسانية؟ أين التكافل الاجتماعي؟ ثم إلى متى هذا الجهل في صرف المال حتى تحوّل النعمة إلى النقمة؟ ينبغي الأخذ على يد السفيه المسرف في صرف المال في وجوه العبث، الإسراف في الوضوء حرام فكيف بالإسراف في المال؟

فاصلة

جمعنا مجلس في مكة عند أحد أعيانها وفي المجلس طالب علم كنت أتحاشى الجلوس بجانبه؛ لأنه كثير الردود على الجميع والانتقاد للكل يكتب الرسائل ويسجل الأشرطة يرد بها على طلبة العلم والدعاة ويتشفى بزلاتهم ويجمع أغلاطهم، فجاء وجلس بجانبي بجفاء وخاطبني بغلظة وقال: لماذا ما تتراجع عن أخطائك العلمية علناً؟ وعلمتُ أنني مهما أعطيته من جواب فلن يقتنع لأنه صنفني وانتهى وأغلق على هذا التصنيف، ثم ضيّع المفتاح فطلبت منه أن يتركني وشأني فأبى وألح علي فقمت من مكاني وذهبت، فإذا كان هذا أسلوبنا في الدعوة مع الدعاة فكيف ندعو غير المسلمين إلى الإسلام؟ إذا كانت هذه حالتنا فنحن بأمس الحاجة لمن يدعونا قبل أن ندعو الآخرين، واقعنا مؤسف.

فاصلة

أفلحنا في مجالات لا ثمرة كبرى من ورائها كمجال كرة القدم بهذا الزخم والاهتمام والحضور والمبالغة مع العلم أن الولايات المتحدة الأمريكية فريق لعبها لا يساوي في القوة فريق الكاميرون وهو البلد الضعيف الأفريقي ولا فريق الأرجنتين الدولة الغائبة في المسرح الدولي وإنما اهتمت أمريكا بالصناعة والإنتاج والإبداع.

واهتممنا بالفنون الشعبية من رقصات ولعب وموال وغير ذلك مع العلم أنها تنهب الوقت وتذهب المال في غير طائل فأين المصانع والمعامل؟

openkanoic.com

واهتممنا بالتراث القديم وهي قطع خزف وقدور فخار مهترئ، وجفان وصحاف مكسرة وتراثنا رسالة ربانية عالمية بدأت باقرأ في غار حراء فصارت آية للسائلين.

فاصلة

تعجبت من أناس ما كلفهم أحد بالفتيا وهم يورطون أنفسهم فيها مع وجود المفتين، فشاب صغير يطلب العلم وتراه يفتي في الطلاق ويدخل نفسه في كبار المسائل بلا ورع، ومثله من بدأ يؤلف وليس أهلاً للتأليف، حتى لقد عرض عليّ بعض طلاب العلم كتباً جمعوها ثم عرضوها بأسلوب ركيك هش وكتبوا على الغلاف تأليف فلان ويريدون مقدمة لما كتبوا فاعتذرت عن التقديم، التأليف مرحلة متأخرة لا ينبغي الاستعجال فيها، الرجاء الانتظار وطلب العلم والتمحيص والتدقيق، المكتبة الإسلامية مليئة بالكتب ونحتاج إلى قراءة وفهم الموجود قبل التفكير في الزيادة، أرجو أن نتدبر ما كتبنا وأن نحسن معرفة ما هو موجود لدينا وأن لا يكون همنا التأليف والتصنيف أقول هذا وأنا مكثر من ذلك ولكن على مذهب ابن الجوزي والسيوطي.

فاصلة

جلست مع أذكياء إلى درجة العبقرية ولكن ذكاءهم كله في الدنيا وكيف يصطادونها وما هي السبل في الحصول على المنصب والمال والشهرة والجاه ولو صرف هذا الجهد فيما هو أنفع لكان أحسن، أين العلم النافع والعمل الصالح؟ أين تزكية النفوس؟ أين تطهير الضمائر؟ أين الاستعداد للآخرة؟ حتى إنني سافرت مع بعضهم فكان يؤخر الصلاة ثم يقوم فينقرها مستعجلاً وكان قليل الذكر لله ولم أشاهده يقرأُ القرآن، بينما إذا حصل وقت الكلام فخذ كلاماً ومزحاً وضياعاً للوقت وتجده مهتماً بملابسه وهندامه وشكله وقد أهمل روحه، والواجب أن نفيق من غفلة الانسياق وراء الملذات الزائلة كأننا أطفال ونفكر بجدية لماذا خلقنا وماذا يجب علينا وهل أرضينا ربنا الذي بيده النفع والضر والحياة والموت؟ فعامله وحده يكفِك غيره.

فاصلة

غالب الناس إذا دخلوا المساجد صار الواحد منهم كالبلبل في القفص ينتظر متى يسلم الإمام ليخرج من بيت الله، ولكن انظر إليهم إذا خرجوا من المسجد تراهم وقوفاً يتحدثون في كل ما هب ودب والسبب أن النفوس فارغة من التلذذ بالعبادة، فهي ترى أن انتظار الصلاة كالحبس نهى عن مراداتها من التفكه بالكلام الفارغ من الفائدة، فصارت تهرب من مجالس الذكر والعلم، وقد جربت كثيراً من الناس إذا جئنا نقرأُ في كتاب أو نتذاكر مسألة تضجر وصاح: يكفي يكفي، بينما تجده يتلذذ عن ذكر أسعار البطاطا والفول والسكر وأخبار الصيد والرياضة وأسعار الأسهم، كيف يخرج منا علماء وحكماء وعباد ونحن لا نحب العلم والكتب والذكر والمساجد؟ كيف نربي مجتمعاً مثالياً وقد هجرنا القراءة والتثقيف؟! اصحوا يا ناس، لماذا ما تغارون من الغرب وهم يقرؤون ويبدعون ونحن نرقص ونلعب!!

فاصلة

النفوس في الغالب تنهار عند المال وتستسلم للدرهم والدينار، وقد جربت ذلك، فتجد بعض الناس يقترض منك ويحلف لك على السداد بل يكتب لك وثيقة ثم يتركك تشرب حبر هذه الوثيقة، وبعضهم يشهد زوراً لمبلغ مالي وآخرون يتناولون الرشوة ولا يخافون العار ولا العذاب، حتى إن بعض الناس يسعى في الإضرار بالآخرين لكسب المال، ولهذا يسمى عاشق المال، فهو عبد الدرهم وعبد الدينار وعبد الدولار، فلا تصغِ لأحد يذم المال لأنه أحد رجلين: رجل قد أحرز المال وخزنه وكدسه فهو مطمئن على امتلاكه له فلا يضر أن يسبه، ورجل حاول وحاول أن يكسب المال فما حصل له فأصبح يسبه على حد قول الثعلب: حامض يا عنب، ليتنا نكون صرحاء مع أنفسنا والآخرين وندع الضحك على الذقون بأقوال تكذبها الأفعال .

فاصلة

زرت مدينة (خليجية) فوجدت الدنيا بضجّها وضجيجها فهناك قصور شاهقة وأبراج عالية وفنادق فارهة وشواطئ ساحرة، ولكن غاب عني مشهدان: مشهد العلم

والثقافة، ومشهد الدعوة والعبادة وإنما رأيت الدنيا في كامل زينتها وزخرفها وفتونها، دنيا البهرج والخداع والمظاهر، دنيا التكالب على الحطام والشهرة والنجومية، فن وطرب وأسواق وأسهم وقنوات ولهو ولعب ولغو فأين مجالس العلم والحكمة والحوار والمعرفة والتأمل؟ نريد مع البناء الشامخ أفكارًا شامخة ومع الجسور هممًا عالية ومع الحدائق الغناء حدائق المعرفة في العقول، لا ينفع القتيل كَفَنٌ جميل، ولا يشفي المريض سريرٌ فارهٌ، نريد بناء العقول والأرواح.

فاصلة

فتنة التلفاز فتنة عظيمة في ضياع الوقت وإضعاف التركيز فالكثير من الناس اليوم متصلبون أمام التلفاز وهو يعرض عليهم صور الحروب والمآسي والمصائب ومشاهد من الفن والهيام وعجائب وغرائب وهذه تهز النفس وتجعل الإنسان في حالة قلق وفي كتاب (مائة قاعدة بسيطة للسعادة) يرى المؤلف أن إدمان النظر إلى التلفاز يورث الكدر والهم ويشتت الذهن، أكثر الناس يجلس ثماني ساعات أمام التلفاز يقوم بعدها شارد الذهن كاسف البال، اجعل للتلفاز وقتاً تشاهد فيه النافع المفيد، ولا تضيع وقتك في متابعة كل ما يعرض، وأنقذ عمرك من الضياع، سعادتك أمانة عندك فلا تخن الأمانة بترك رعايتها.

فاصلة

غالب الناس يسهل عليه الكلام في الفضائل والأخلاق ولكنه عند العمل والتطبيق صفر، فالعمل أصعب من الكلام، لأن الكلام في المثل العليا سهل باللسان لأنه لا يكلف الإنسان إلا حركة الشفتين بينما التطبيق مرهق أو مكلف، بإمكانك أن تلقي مائة محاضرة عن الكرم، ولكنه يصعب عليك بذل ألف ريال للفقير، من السهولة أن تخطب عشر خطب عن الحلم، ولكن لو دهس رجلك أحد في الزحام لصرخت في وجهه، أنت قادر على أن تحدث الناس عن قيام الليل ولكن جرب نفسك هل تستطيع المداومة عليه، إذن فلا يغرك كلام الناس في المجالس عن الفضائل لكن انظر إلى عملهم بهذه الفضائل لقد رأينا الأحمق يتكلم عن فضل

openkanar.com

العقل، ووجدنا البخيل يمدح الكرم، وأبصرنا الجبان يتغنى بالشجاعة، وسمعت رئيساً في دولة يتحدث عن حقوق الإنسان وفي سجونه أكثر من عشرة آلاف من سجناء الرأي وقد عذب شعبه وأذاقهم الويلات!!

فاصلة

بعض الناس مهموم ومشغول بهندامه وظاهره على حساب عقله وروحه، فتجده منهمكاً في كي ملابسه وتسوية هندامه وتسريح شعره وتلميع حذائه وزبرقة نظاراته ولكنه لا يتعلم ولا يقرأ ولا يتزوّد لآخرته، نحن مع النظافة والنظام والترتيب والله جميل يحب الجمال، لكن الإسراف في الهندام وكثرة الاعتناء بالظاهر على حساب الباطن إهدار للوقت والجهد، الإنسان بروحه وبعلمه وبإنتاجه وإبداعه كما قال علي: قيمة كل امرئ ما يحسن، وقد شغلتنا المظاهر عن الحقائق والأشكال والصور على المعاني والمقاصد، وفي الحديث: "إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم وإنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم"، إن البيت الخراب لا ينفعه طلاء جدرانه، وإن الميت لا يرده حياً جمال كفنه، نريد هماً نريد نفوساً مؤمنة وضمائر حية، وأفكاراً نيِّرة وجهوداً مثمرة ودعونا من الشكل والبريق الخادع.

فاصلة

ينبغي أن توجه فكرك توجيهاً صحيحاً قيماً، فتفكر في آيات الله وبديع صنعه، وما ينفعك في الدار الآخرة، وتفكر فيما يصلح عملك ويزكي أخلاقك، لا تجعل فكرك صندوق نفايات تدخل فيه هواجس الشيطان وبذور السوء والجريمة، طهِّر ذاكرتك من الانحراف والأفكار الخبيثة، إن الفكر الخبيث كالورم الخبيث في الجسم الذي يجب بتره، بعض الناس تفكيره في الكفر والذنب والحيرة والشك والإضرار بالناس، وبعضهم تفكيره طاهر يفكر في الإيمان والخير والفضيلة والإصلاح، الفكرة بذرة تسقى بالإيمان فتؤتي أكلها بالأعمال الصالحة، والفكرة الخاطئة كبذرة الحنظل خبيثة المنبت والطعم لا نفع فيها، فاحذر أن تدخل في ذهنك فكرة سيئة بل أوصد الباب عند أول خاطر واستعذ بالله من الشيطان الرجيم، أذهان الطهر نيرة فواحة بطيب الحق، وأذهان الخبيث منتنة برائحة السوء.

فاصلة

ما زلت متعجباً حائراً من أناس ولدوا في بلاد الإسلام وآباؤهم مسلمون ثم انقلبوا، فمنهم من فاح منه رائحة الإلحاد، ومنهم من شكك ومنهم من بدأ يغمز في قناة الدين، وعجبي أنهم لم يقنعوا بالبراهين التي أمامهم والأدلة الواضحة الساطعة، وأقواها هذا القرآن المعجز المفحم، بالله هل هناك من عنده ذرة عقل ويقرأ القرآن وينظر هذا البيان والإعجاز ثم لا يصدق أن الله قاله وأنزله على رسوله ﷺ، أجل هل يستطيع محمد ﷺ أن يقول هذا الكلام المعجز المفحم الذي بهر الناس وأدهش العلماء وحيّر الأدباء والرسول ﷺ أمي لم يقرأ ولم يكتب في أمة أميّة جاهلية؟ ألا يستحيي من هذا كلامه، ألا يخجل من يشكك في صدق هذا الكتاب العظيم؟ قاتل الله الكذب، لعن الله الإلحاد وأهله.

فاصلة

أشغلنا أنفسنا والناس بإبعادهم عن الوحي كتاباً وسنة بكثرة الشروح والمتون والحواشي، فضاع النص بين ركام هائل من كلام الناس، وإنما كان ميزة الصحابة تعلقهم بنصوص الوحي وفهمهم للنص مباشرة ثم تعاقبت القرون وزاد الناس كتباً وشرحوا وبسطوا الكلام واشتغل الناس بمتون الناس عن كلام رب الناس وعن كلام رسول الناس ﷺ، عودوا بنا يا قوم إلى القرآن والسنة حتى نروي قلوبنا من هذا النهر العذب الزلال، وقد سمعت بعض الفقهاء يفتي الناس فما أتى بآية ولا حديث إنما قال فلان وفلان ثم يورد قاعدة أصولية ثم يشرحها فعجبت له كيف ترك بركة الوحي، وذهب إلى كلام الناس وما علم المسكين أنه بهذا العمل قد أبعد الأمة عن النور وصدها عن بركة الدليل وسماع النص مباشرة فلنعد لنصوص الوحي كتاباً وسنة.

فاصلة

لا راحة إلا لشخصين: عالم نفعه علمه وعابد مع كتاب الله وذكره، وبقية الناس بين هم وقلق، فصاحب السياسة كل يوم في طارئ وحادث، والغني مهموم بثروته والفقير يكدح من أجل لقمة العيش، وتجد الشاب أمامه أهوال الحياة من دراسة وعمل وجمع

obeikandl.com

مال وزواج وهموم آسرة، وتجد الشيخ الكبير كل يوم يهبط درجة من آلام الشيخوخة مع وحدة قاتلة لا أنيس فيها ولا جليس، فكلٌ مشغول عنه، وقس على هذا سائر الناس، أما العالم العامل بعلمه فله الثناء الحسن والأجر العظيم لما كسبه من علم وفعل من عمل صالح ويعد العابد الصادق في جنة مع كتاب الله وذكره.

ولا تصدق من يتشدق بلفظ السعادة وهو ما عاشها فإن هذا منه وهم ومخادعة للنفس، السعادة رضىً ويقين وأمن وليست لعب أطفال بسيارة وڤيلا وراتب.

فاصلة

إذا شاهدت بعض المسلمين تظن أنه آيس من الآخرة لسوء عمله، ولقد عرفت رجلاً قد جاوز السبعين صاحب خصومات ومشاكل، يقترض ولا يهتم بالسداد وله مشاجرات ومنازعات مع جيرانه في مزارع وأراضٍ وإذا لقيته شكا لك ظلم الناس وعدم خوفهم من الله وقد نسي نفسه، يريد أن يفهمنا حضرته أن الناس كلهم ظلمة إلا هو، ثم لماذا كل يوم وهو في المحكمة يدِّعي ويطالب ويخاصم؟ أين الاستعداد للمعاد؟ الواجب على من هذا سنه أن يذرف الدمع الساخن ندماً على تفريطه ثم يعكف على ذكر مولاه ومراجعة نفسه وطلب السماح من الناس والتحلل من المظالم، ثم علامَ هذا التكالب والحرص على ثمن بخس ودنياً حقيرة كالجيفة بين الكلاب.

فاصلة

استمعت إلى كاتب من بلادنا يكتب في الصحف وأراد أن يخبرنا بأنه متقدم ومتطور ومثقف وعصري فأخذ يهمز ويغمز في علماء الدين ويذكر التقاليد القديمة والأفكار الموروثة التي عفا عليها الزمن -قصده قاتله الله الإسلام- بلا شك ولا ريب فعجبت من هذا المخذول يمجد أفكار البشر الحمقى الأغبياء ويهون من شريعة رب البشر الواحد القهار، وكأنه لا بد لك حتى تثبت أنك متحضر مثقف من أن ترمي كلمتين على الدين وتهز قناعتهم بعقيدتهم الصحيحة الثابتة، فقلت في نفسي لهذا المعتوه الغبي: يا حليلك سبقك آلاف من عتاة الملحدين حاولوا النيل من الدين فصاروا ضحكة للعالمين وفضيحة للناس أجمعين، هل تستطيع بفمك أن تطفئ الشمس؟!

obeikandl.com

فاصلة

جلست مع مسؤول كبير من صناع القرار في بلادنا فذكر كاتباً معروفاً مشهوراً بالنيل من الإسلام والخروج على الدين فقال هذا المسؤول عن ذاك الكاتب: والله العظيم لقد أصبح عندي أحقر من الكلب كيف ينال الإسلام؟ فوالله بعد هذا الكلام من المسؤول لقد زاد احترامي له وتقديري لشخصه على غيرته، وسمعت أنه حجب هذا الكاتب من زيارته، وهذا الكاتب المعروف متصالح مع كل أحد إلا مع الله جل جلاله، فهو يطالب بالحوار واللين والحكمة والتعقل وعدم الرفض والإقصاء ولكنه أقصى - المخذول - أعظم قضية مع الكون وهي لا إله إلا الله، وهذا الكاتب لم يعجبه الإسلام وما أدري ماذا سوف يعجبه؟ الإسلام دين الله في الأرض دين الحكمة والرحمة والعدل والسلام والمحبة.

فاصلة

مر بي يوم في الرياض أصابني ألم في ركبتي مع زكام حاد مع دوخة شديدة في رأسي فأردت السجود في الصلاة فدار رأسي وكدت أسقط وكنت أسجد على أطراف جسمي من ألم ركبتي فتعجبت من ضعف الإنسان وتفاهة الحياة وتكدّر العيش وتفكرت في جهلنا كيف نفرح فرح الأطفال بالدنيا وهي هموم وغموم، فرجائي عدم التعلق بها فليست بدار قرار، فقد رأيت أصحاباً منهم الشاب قوي البدن تام الجمال ثم مات فجأة بحادث مروري، وكان لي صديق طالب علم يحضر الدكتوراه ثم ظهر فيه السرطان فجأة فذاب جسمه وذهب إلى ربه، وعرفت شباباً مرقدين على الأسرة كُسر عندهم العمود الفقري، ورأيت شباباً أقوياء بترت أقدامهم، وعجبي ممن يرى هذه المشاهد ثم يطمئن إلى الدنيا ويسكن إليها وقد قرأت التاريخ فرأيت عجائب ونوائب ومصائب ولكن أهل الدنيا وعشاقها في سكار والسكران مذهب العقل.

فاصلة

رأيت أستاذاً دكتوراً في الجامعة شاب رأسه وشنباه وتعقد وجهه وهو يلوك عبارات التحرر والخروج على القديم ونحو ذلك، ورأيته في مقابلة تلفزيونية

ممسوخاً يجاهر بالنيل من الثواب وكل عدوه هو الإسلام فحسب، ليس له خصوم مع أحد إلا مع الإسلام!! فقلت في نفسي: تبّت يدك تتصالح مع الشيطان وتحارب الرحمن، ثم ما هو البديل عندك إذا لم ترض بالإسلام هل تحبذ حثالات الأفكار ونفايات العقول المريضة على الوحي المعصوم المنزل من رب العالمين، وأنا أعلم أن مثله ذكي ولكن الله طمس على بصيرته وأعمى قلبه ومن خذله الله فلا تطمع بهدايته، حتى إنه لا يؤثر فيه النصح ولا الوعظ ولا البرهان وحدثني أحد الأصدقاء أنه رافق أحد هؤلاء المردة ليجذبه للحق قال: فوالله ما زاد إلا انحرافاً.

فاصلة

زرت شيخاً كبيراً قارب المائة في القويعية فوجدته في الضحى وهو في المسجد قد نشر المصحف وهو يتلو وحده، قلت في نفسي: عرفت فالزم، ثم خرجت من المسجد فإذا صخب الحياة وضجتها ومشاكلها وخداعها فكأني خرجت من الجنة إلى النار، وأنا أعجب فقط ممن يعجبه هذا الصخب فتراه بإعجاب وحب يحدثك عن أسواقه وبقالاته ومزارعه وكأنه سوف يعيش ألف سنة، لكن القليل من يحدث عن جمال صلاة الفجر، وحسن التلاوة، وروعة الذكر، حتى إن بعض القبائل إذا حصلت عندهم مناسبات صلوا في مكان الحفل والمسجد منهم قريب وطلبوا من الإمام التخفيف لأن حفل العرضة والرقص سوف يبدأ قريباً فيصلون والسيوف بجانبهم وهم يلبسون الخناجر في زهو، فقلت في نفسي: يا فَرَاش سبقت في التاريخ أمم علت ثم هوت ودول سادت ثم بادت فما هذا الاغترار يا فراش.

فاصلة

جمعتنا مناسبة في الرياض فوجدت شاعراً جلس بجانبي ولم أكتشف شخصيته إلا تلك الليلة فإذا هو يحمل روح النمرود من إعجاب وغرور وأنانية ونرجسية وحديثه كله عن نفسه سرتُ، وقلت، ولقيت وقابلت، ولكمني، وقال لي، وكتب عني، فقلت في نفسي: على ماذا هذا الإعجاب إن كان على الشعر فشعره ليس بالفائق وقد سبقه آلاف الشعراء الذين ملؤوا الدنيا، وإن كان على الشهرة

فأكثر الناس في المملكة لا يعرفونه فضلاً عن العالم، ثم ليقارن نفسه بامرئ القيس أو بالمتنبي أو شكسبير فسوف يظهر صفراً، يا ناس تواضعوا ولا تعجبوا بنفوسكم أو علمكم أو شعركم أو مالكم، نحن يا ناس في حلم اسمه الدنيا وفي مسرحية تافهة اسمها الحياة.

فاصلة

جلست مع طائفة من الشباب الأصحاء الأغنياء فأخذت أحدثهم عن القراءة والكتاب والعلم والمعرفة وأدعوهم إلى حفظ الوقت في المطالعة، فرأيتهم يلتفت بعضهم إلى بعض كالمتعجبين غير مبالين، طبعاً وسوف لا ينفذون كلامي؛ لأنهم ربوا على الرفاهية واللهو وحب المال والجاه، فعندهم ثقافة أجسام لا ثقافة عقول، والواجب أن يبكوا على موت الهمة وأن يترحموا على العلم ويتأسفوا على حياة الروح، متى يصلح وضعنا وشبابنا لا يحبون القراءة ولا يعشقون الكتاب ولا يهيمون بالعلم هياماً؟ هم الشباب فقط الجنز والبنز والرز فأين العلم والحلم والفهم، يا أصحاب القروش والكروش، يا عبدة الدنيا والدولار، أين الهمم؟ أين القلم؟ أين الشمم أين رواد القمم؟

فاصلة

أطالع الصحف والمجلات والقنوات فإذا الكل يلمع نفسه، ولسان حاله يقول: إليّ أيها الناس، هلموا يرحمكم الله إليَّ أقبلوا إليّ فأنا الفارس الماهر، والمثالي الباهر، كل واحد يعلن الأفضلية على الآخرين، والكل يشارك في هذه المهزلة الدعاة والساسة والرياضيون والتجار والفنانون والشعراء ورجال الإعلام، فمن نصدق؟ الكل في تنافس محموم ينادي الواحد على الآخر: أنا خير منه، يا إخوة التنافس الشريف في ميادين العلم والمعرفة والعبادة والإبداع والخلق الراقي، ﴿ **وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ** ﴾ (المطففين: ٢٦) أما تنافسكم هذا فخسّة وحقارة وكذب وبهتان، سوف يكشف القناع، ويسقط البريق وتظهر المسألة أنها مهزلة.

فاصلة

لا تغتر بمجاملات الناس ومدحهم كقولهم لك: نفديك بالروح والدم، والله لو سجنت ما سجن معك أحد ولا بقولهم: نموت في حبك فالغالب أنها لمصلحة، المهم توجّه فوراً بقلبك إلى مقلب القلوب والأبصار جل في علاه، فهو النافع الضار، ودعنا من هذا الكلام الفاضي الذي يقوله الناس،؛ فقد رأينا من مدحنا إلى النجوم ثم طلب منا قرضاً فلم نحقق له ما أراد فسبّنا وأعرض عنا، ومنهم من رأيته يمدح شخصاً في وجهه فلما ذهب سلقه سلق البيض، مساكين الناس، كالذباب تماماً، لا نفع ولا ضر أهل عواطف وأهواء يميل مرة إلى يمين ومرة إلى شمال، الكلمة ترضي أحدهم، والكلمة تغضبه، وبعضهم يرضى عنك بمائة ريال فقط فلا تشغل نفسك به واشتغل بمن يملك حياتك وبيده نفعك وضرك وهو الذي يرزقك ويغفر ذنبك ويفرج كربك فأكثر ذكره وأطع أمره ولا تشتغل بالمساكين الفقراء وهم الناس.

فاصلة

كان لي صديق يقسم بالله العظيم إن روحه فدىً لروحي ودمه دون دمي وإني أغلى من عينيه فلما مسّنا الضر فرّ وما قرّ، وهرب وما استقر، وما علمت له بخبر إلا بعد سنوات وإذا به فتح محلاً تجارياً وصار منهمكاً في الدرهم والدينار ونسي شخصاً نكرة اسمه "عائض" فعجبت كل العجب من إيمانه وقت الرخاء وفراره وقت الشدة، وتيقنت أنه ليس معي إلا الله وحده وقد رأيت الشعراء يشكون من المجاملات الكاذبة التي فضحتها التجارب، فيا مسلم جود الحبال مع الواحد الأحد، وما عليك من زيد ولا عبيد، وأحسن صحبة الناس لكن اعلم أن زكاماً يصيب أحدهم ينسيه خبر موتي وموتك، ولا تفرح بمدحهم ولا تجزع من ذمهم فهم عبيد أهواء وأصحاب ميول ورغبات إنما عليك أن تفعل الجميل وتبذل الإحسان واطلب العوض من الله وحده فما أحسن معاملته بالطاعة والتوبة ومراقبته وسوف ترى الثمار اليانعة النافعة.

فاصلة

أكثر اللقاءات والمؤتمرات والاجتماعات جعجعات وبالونات وفقاقيع، فلا تنخدع بمؤتمر كبار المفكرين والمبدعين والرواد لدراسة حامض أكسيد الكلام الفاضي، ولا

Open Kan.com

تندهش من اجتماع فقهاء العصر ونجوم الدهر ليبحثوا في شأن امرأة المفقود إذا مرَّ على فقده خمسون سنة، ولا تذهل من اللقاء الكبير والحفل الرسمي لشعراء الدنيا لتقرير هل الأحسن أن يلقي الشاعر قصيدته واقفاً أو منسدحاً أو منبطحاً. نحن أمة اشتغلت في الآخر بالكلام فقط، وتركت العمل، عمر بن الخطاب جمع الصحابة قبل القادسية فعين القائد في جلسة وأعطى الألوية ونظم الجيش وأعد العدة ووقع النصر بإذن الله، كم حضر ابن تيمية من مؤتمر؟ كم عقد للشافعي من اجتماع؟ وأنا قد حضرت عشرات المؤتمرات واللقاءات وصدقني ما أعرف أنه نُفِّذ توصية واحدة فقط! صرفنا المال وسكنا في الفنادق مع التذاكر والموائد الدسمة مع التصوير في وسائل الإعلام، وبعدها ما حصلنا على طائل.

فاصلة

الدين المعاملة، وحسن الخلق من أرفع الأعمال، وهو الذي يثقل الموازين لكن الله المعطي وحده، أعرف أشخاصاً عبوسين دائماً (زعلانين) أبداً مع العلم أنه نزل المطر وارتفع سعر البترول ورخصت الفواكه ولكنهم (زعلانين)، نجح أبناؤهم وتزوجت بناتهم وزادت ثروتهم ولكنهم (زعلانين)، لا يبتسم أحدهم إلا مرة في عيد الفطر، ثم يبكي مغضباً عبوساً قمطريراً بقية العام كله، يا لطيف!! ما سبب هذا الزعل، الناس بخير، الدنيا طيبة، اليسر بعد العسر، يا إخوان تبسّموا في وجوه الناس، أدخلوا السرور على عباد الله، تحببوا للخلق بحسن الخلق، إن البعض يحمل نفساً شرسة متذمرة غضوبة أعانه الله عليها، فهو في عذاب دائم ويريد أن يعذبنا معه، لا يريدنا أن نمزح ولا نفرح ولا نمرح، إذا حضر صمتنا وسكتنا وإذا غاب أخذنا راحتنا في المباح ﴿**رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ**﴾ (الدخان: ١٢).

فاصلة

الحياة جميلة إذا نظرت لها بعينين جميلتين ففيها العلم النافع والعمل الصالح والأحباب والأصحاب وفيها السرور والفرح وفيها الحسن والعطاء، وفيها الخير والبركة، وهي مزرعة الأبرار وحقل الأخيار، لكن بعض الناس يرفض هذا كله فهو ينظر لها

بقنوط؛ لأن فيها الأشرار والفجار والظلمة وهي دنيا النكد والبؤس والمصائب، وهذا الصنف يعيش كئيباً محطماً ففر منه فرارك من الأسد؛ لأنه باختصار يريد نقل العدوى لك حتى تكون مثله، فهو دائماً يشتكي كل يوم يبحث عن مصيبة، فعنده أن الأسعار سوف ترتفع وسمع أن هناك مشاكل عند آل فلان، وأخبره ثقة أن الوزارة الفلانية تدهور وضعها وجاءه علم اليقين أن فلاناً يمر بظروف قاسية، إلى آخر تلك القائمة، وهذا كله هلس في هلس، وهو على منهج ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ﴾ (المنافقون: ٢٦) الدنيا بخير، في الناس كرماء، والعواقب طيبة وحميدة.

فاصلة

حضرت أشفع عند والد مقتول ليعفو عن القاتل فوجدت من تصلب والده وعزة نفسه ورفضه للعفو وحرصه على قتل القاتل ومدحه لابنه المقتول فسألت الناس عن ابنه فقالوا: ابنه رجل عادي ولم يكن كما زعم أبوه، فعلمت أن الأب مغرم معجب مفتون بابنه، فلا تصدق دائماً الابن في أبيه ولا الرجل في زوجته المحبوبة ولا المؤلف إذا تحدث عن كتابه؛ لأن العاطفة تغلب والهوى يحكم، فعليك بالتثبت عن سماع أخبار الثناء (فما كل مصقول الترائب زينب)، ثم عجبي من هذا الأب في حرصه على شرفه بزعمه في عدم قبول العفو وهو لم يحرص على تربية ابنه على الصلاة ومكارم الأخلاق، وإذا الشرف عند بعض الناس معرفة الرمي بالبندق وإجادة العرضة والرقصات الشعبية والصيد والسوالف بطلاقة، هذا مبلغهم من العلم، لكن الهمة في زكاة النفس وحمل الأمانة وحفظ حدود الله معدومة عند القليل، فالناس أحياناً يضعون مراسيم باطلة تناقض الشرع.

فاصلة

وقفنا في صالة المطار ننتظر إقلاع الطائرة فمنا من قرب موعد إقلاع طائرته فهو متهيئ، ومنا من ما زال فهو آخذ راحته وليس بمستعجل، فتذكرت حالنا مع الموت في الدنيا، فمنا من أعد العدة وهيأ للقدوم على الله فهو في عمل صالح وخير مستمر ونفع دائم، ومنا من هو في غفلة وذهول، وإعراض حتى يأتيه الموت فجأة، ونحن نريد الحياة في سبيل الله مثلما نريد الموت في سبيل الله لأن الحياة

openkandil.com

في سبيل الله؛ عطاء ونماء وبركة ونفع، ولكن بعض الناس حوّل حياته إلى غفلة ونوم عميق: وصح النوم يا إخوان!! إلى متى التسويف والسعي وراء سراب الحياة، الشباب يقول: إذا كبرت، والعزب يقول: إذا تزوجت، والفقير إذا اغتنى، والصحيح أن المهمل والمتسوف في سكرة لا يستفيق منها إلا عند الموت (الناس سكارى فإذا ماتوا انتبهوا).

فاصلة

كان عندنا وزير مشهور وقع في عرضه بعض الناس ونسبوا إليه أفعالاً وأقوالاً ضد الإسلام وصدق الناس بلا بيّنة ولا برهان، واستقال الوزير وجاورته في حيه، فكان حمامة مسجد لا تفوته صلاة، وباحثته في بعض ما نسب إليه فأقسم بجلال الله ليس بصحيح وتحدى أن يأتوا ببرهان واحد وكتب في الصحف يتحدى من يثبت عليه ما نسب إليه فما فعل أحد، وصاحبت بعض من همزه ولمزه فوالله ما وجدتهم يحافظون على صلاة الجماعة، وهم الذين يدعون الغيرة على الإسلام!! هل الغيرة على الإسلام كلام في مجالس وأكل فصفص وولوغ في الأعراض؟ هل الإسلام ملعب كرة لاستعراض العضلات؟ يا من وقع في أعراض الأبرياء تأكدوا، فإن بعض الناس مصنف للناس، فالحكام عنده ظلمة، وطلبة العلم متلبسون مدلسون، والقضاة مرتشون، والتجار غشاشون، والعامة جهلة، يا سلام وأنت يا بطل وش تكون؟!!

فاصلة

كان هناك صحفي متخصص في نقدي، فإذا نظمت قصيدة ذمها وتنقص منها وإن ألفت كتاباً تصدى له ومقته، وإن خرجت في التلفزيون سخر مني، كل هذا في الصحف جهاراً نهاراً، وطال عجبي منه وهممت أن أسلخه بمقالة لا تبقي ولا تذر، ثم سلم الله، وشجعني بعض أصدقائي على الرد عليه في الصحف ولطف الله، ثم بدت لي فكرة أن أتجاهل ما كتب وأتغافل وكأني ما سمعت ولا رأيت وأهدي له بعض كتبي مع بعض عبارات التبجيل، ووصلت الهدية فتهلل واستبشر ووالله ما مر وقت قصير إلا وهو يمدحني ويثني علي في نفس الصحف التي سبني فيها وشتمني! وصدق الله ﴿**ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ**﴾ (فصلت: ٣٤) ما أحسن الصفح ما أجمل التغافل، ما أنبل التغابي.

ليس الغبي بسيد في قومه لكن سيد قومه المتغابي

فاصلة

اجتمعنا مرات كثيرة مع الدعاة في مجالس لدراسة الدعوة وماذا يجب علينا في هذه المرحلة فكان الواحد منا يحرص على تزويق الكلام واختيار العبارات الرنانة وتكلمنا جميعاً وكل واحد منا ذكر أمجاده إما تعريضاً أو تصريحاً وانتهى الاجتماع ولم نخرج بفائدة عملية إنما كلام في كلام لأننا إلى الآن لنا على بعضنا تحفظات، ثم إن الكلام سهل والفعل صعب فصرت لا أحرص على حضور الاجتماعات؛ لأنها استعراضات للعضلات فحسب ولأنه في كل مجلس عليك أن تنصت خاشعاً لعشر كلمات لإخوانك طويلات ثقيلات مملات ولو جلست في بيتك وحضرت محاضرة نافعة أو علمت أهلك أو قرأت جزءاً من القرآن لكان أفضل، مشكلتنا أننا لا نزال نخطط والآخرون يعملون، اجتمعت دول أوربا فأنشأت السوق الأوروبية المشتركة، ثم اجتمعت فاتفقت على عملة موحدة، ثم اجتمعت فوحدت التأشيرات، ثم اجتمعت فألغت الجمارك وعندنا عشرة دعاة فشلوا عشرين سنة في خطة.

فاصلة

يقول نيوتن: النجاح يحتاج إلى ثلاث مقومات: العمل ثم العمل ثم العمل، وهذا صحيح فقد شغلونا بكتب في فن النجاح وكيف تكون ناجحاً وذكروا لك سبعين شرطاً للنجاح مثل الهمة والإرادة والإصرار والنية والطهارة والغسل من الجنابة والسواك و. و . إلخ، والصحيح أن النجاح عمل وقد رأيت أنجح إنسان في حياتي الشيخ ابن باز ولم يقرأ كتاباً واحداً في النجاح، وهو طاقة متجددة من النشاط والحيوية والبذل والعطاء والتضحية تدريساً وفتيا وتأليفاً وشفاعة وتعليماً وضيافة ونفعاً عاماً وعلماً وحلماً وكرماً، ورأيت من قرأ عشرات الكتب في الهمة والنجاح وهو جثة هامدة، النجاح مثل السباحة لا تدرس في الدفتر إنها تتعلم في النهر، وكرة القدم لا تؤخذ من الكتاب إنها في ملعب الكرة، وقس على ذلك أبواب الحياة، فأقول: اعمل وثابر واقرأ وسبح وألف وانفع فهذا هو النجاح.

openkandil.com

فاصلة

التثبت في النقل واجب شرعي، لكن من يخبر كل مهبول ومن يقنع كل أحمق، لأننا بلينا بأبطال الشائعات، أناس ما همهم إلا نشر المعلومة الخطأ يطيرون بالأخبار الغريبة بلا تثبت ويفرحون بالعجائب ويرتاحون للمصائب وينشرون الغرائب وأعرف أحدهم دائماً يشيع الأراجيف ويبث الأخبار بلا روية ولا تثبت فهو يقول مثلاً بلغني أن ألف جندي أمريكي البارحة في أفغانستان قتلوا على يد الطالبان، قلت: كيف يكون هذا وأين وكالات الأنباء ما أخبرتنا؟ قال: لا يهمونك متكتمين على الأخبار نكاية بالإسلام، ويخبرنا أن آل فلان كاد يقع بينهم فقتله، وخفنا وصار الخبر كذباً، وقال سمعنا أنه تاب مائة واحد من محاضرة فلان ولا تاب واحد، إنما المقصود أنه مغرم بالغرائب وكفى بالمرء كذباً أن يحدث بكل ما سمع، لماذا ننشر معلومات خاطئة؟ لماذا نربك الناس ونخلط أوراقهم؟ لنشتغل بالحق والخير ولنترك الأوهام.

فاصلة

ينبغي أن نستحيي من ممارسة التزوير الذي نقوم به صباح مساء، فقد عرفت بعض الناس جعل لنفسه لقب الدكتور وهو لم يحصل على الدكتوراه، وبعض طلبة العلم تظاهر بأنه يحفظ كذا وكذا متناً وهو لم يحفظها، وبعض التجار أوهم الناس أن لديه مشاريع مساهمات فتورط الناس معه وساهموا فأفلسوا، وقد زرت أحد التجار في السجن شافعاً في قضيته فوجدته رفض الاعتراف، وأخبرنا أنه إذا خرج من السجن سدد الديون، وخرج من السجن وما سدد دينه ولا أعطى أحداً ما له عليه، ورأيت أحد من يكتب في التاريخ ادّعى في المجلس أنه شاهد سور الصين العظيم وقد كذب بعد ظهور برهان كذبه، وبعضهم يدعي أنه رأى رؤيا منامية هائلة وهو كاذب وقس على ذلك صنوف التزوير، فلماذا هذا ؟! أمن أجل الناس؟! ومن هم الناس؟ ما قدرهم حتى يُعصى الله من أجلهم؟ فالصدق أيها الناس فالله لا تخفى عليه خافية.

فاصلة

حصلت بعض الشدائد فتنكر لنا من كنا نعرفه وترك حتى مجرد السؤال عن الحال وقيّض الله لنا أضعافاً مضاعفة ممن لم نكن نعرفهم فواسوا وأعانوا، فلا

تظن أن أصدقاء الرخاء هم أصدقاء الشدة، ولا تغلط فتحسب أن من تودد لك وقت اليسر سوف يبقى معك وقت العسر، وعلى العموم لا تعلق على أحد من البشر همك، بل تعلق بالله وحده، فكم من صديق يقسم لك إنك في منزلة نفسه وولده لكن جرّب ذلك واطلب منه قرضاً، أو كفالة مالية، إن التضامن باللسان سهل؛ لأنه غير مكلف لكن إذا وقع البأس وطلبت ضريبة الصداقة نكص الكثير، وأنا أعد هذه الصداقة الجوفاء أشبه ما تكون بهتافات الشعوب المغلوبة على أمرها التي تهتف بحياة الزعيم القائد الضرورة: بالروح بالدم نفديك يا فلان، فلما سقط رفسوه بالأقدام.

فاصلة

كان السابقون الأخيار ينادَوْن بأسمائهم المجردة ويذكر للواحد إنجازات عملية فيقولون أبو بكر الصديق حضر الغزوات كلها، وأنفق ماله كله في سبيل الله وكان مع الرسول ﷺ في الغار والهجرة والعريش يوم بدر.... ونحو ذلك فلما جاء المتأخرون قالوا للواحد: سماحة العلامة الفهامة، وحيد العصر، أعجوبة الدهر، النظّار المجتهد، المطلق فلان بن فلان ويقولون عنه: كان عنده أربع زوجات وثلاثون ابناً، وعشرة بيوت ومزرعتان، وخلَّف ثروة هائلة فانظر الفرق بين الترجمتين الأولى والثانية ولهذا علت وسبقت الأمة في أول عهدها وأخفقت ورسبت في عهدنا حتى إني رأيت بعض من يذكر سير بعض المتأخرين يقول: وما رأى مثل نفسه وعجزت النساء أن يلدن مثله، ولو كان في بني إسرائيل لكان عجباً ولو حلفت بين الركن والمقام ما رأيت مثله لصدقت ونحو هذا الكلام الفارغ الفاضي الفاضح الفاشل.

فاصلة

أسفتُ جداً لصديق عزيز عليّ أذهب عمره وذكاءه ووقته في دراسة أفكار الغرب وفلسفة الغرب وسياسة الغرب وكل شيء في الغرب فإذا ألّف ملأ الصحف بأسماء وليم وجورج ومايكل وروبرت ونحوها ونسي سامحه الله محمداً وعلياً وسلمان وعمر وإذا ذكر المدن ذكر قشجن وباريس ولندن وواشنطن ونحوها، وأغفل سامحه الله مكة والمدينة وبغداد ودمشق، والرجل مغرم بل عاشق بل مهووس مجنون

في شيء اسمه الغرب كما قالوا: عنز بدو طاحت في مريس، يا ساتر ما هذا الهيام بأناس لا شريعة لديهم ولا رسالة سماوية، إنما هم أهل آلة ومادة ومصنع ومعمل، أين التشرف والاعتزاز برسالتنا وقرآننا وسنة نبينا ﷺ، حرام يا قوم ترك القبلة والمصحف والهداية، عيب يا ناس خدمة البشر والإعراض عن دين رب البشر.

فاصلة

أخبرني أحد الأعيان أنه نزل سوق الذهب فوجد شباباً عاطلاً فارغاً يلاحق الفتيات أمام الناس في السوق، قال فتعجبت من جرأتهم وقلت لأحدهم: ما تستحي تعاكس بنات المسلمين أترضى هذا لأختك أو زوجتك؟ فكشر في وجهي وقال: وش دخلك؟ أي لماذا تتكلم في هذا الموضوع، وإذا وصل الحال بالشباب إلى هذا المستوى الذميم المنحط السافل فقد ذهب منه الحياء والوقار والرجولة، وسبب ذلك كله ضعف الدين والتربية أو عدمها فليس هناك أب غيور أو أم حريصة أو أستاذ مربٍ، إنما انفلات من الرعاية وخلل في التوجيه، وفشل ذريع في التربية فنشأ شباب هامشي مهزوم يسقط أمام نظرة أو همزة أو غمزة أو نغمة، هل لنا موعد مع التاريخ لنعيد تربية أنفسنا على ما رباها عليه ابن عباس وابن عمر وابن مسعود وابن الزبير، عندنا قرآن وسنة ولكن المرعى أخضر والعنز مريضة!!

فاصلة

نحتاج إلى كتابة تاريخ صادق لنا وشفاف وعادل بدل تاريخنا الذي أغرق في سيرة الملوك والخلفاء فقط حتى ذكر لنا جواريهم وغلمانهم وأهمل تاريخ الأمة العلمي والإصلاحي والاجتماعي، ثم الواجب أن تذكر الحسنات والسيئات بلا أهواء ولا عواطف ولا ظلم وإنما الإنصاف مع ذكر سنن الله في الأمم والشعوب واستخلاص الدروس النافعة من كل حادثة وواقعة تستحق الدراسة، تاريخنا في غالبه سرد قصصي وتهويل مع ذكر عجائب وغرائب أحياناً لا يصدقها العقل مع المبالغة في الأوصاف والأرقام، ونحن بحاجة لمن يمحص تاريخنا ويغربله من الأوهام ويقدمه في أحسن صورة، ويقوم بذلك فريق من العلماء الملمين بالتاريخ وفقه

التاريخ وحبذا لو ربط هذا التاريخ بالقرآن بحيث تتجلى سنة الله في كتابه في الأمم والدول والعبر المذكورة في كتابه عن هذا الباب، التاريخ لا يجوز أن يزوَّر.

فاصلة

درسنا النحو في المعهد العلمي بطريقة شاقة صعبة ونحن أطفال في المتوسطة فقرروا علينا شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك وتخيل أطفالاً في القرن الرابع عشر يقرؤون لعلماء القرن السادس مع شواهد شعرية صعبة ولغة غريبة، ولو أن الله فتح على المشرفين لسهلوا لنا النحو بكتاب عصري ميسَّر وأمثلة واضحة، ولكن لله الحكمة، حتى إن من الشواهد التي حفظناها ونحن أطفال قول الشاعر:

أُمُّ الحُلَيْسِ لَعَجُوزٌ شَهْرَبَهْ

تَرْضَى مِنَ اللَحْمِ بَعَظْمِ الرَقَبَهْ

ثم يقولون: الشاهد كذا، وجه الاستشهاد كذا، فنبقى في حيرة، فيا جماعة سهِّلوا العلوم على الجيل ولطفوا المقررات وقربوا المعلومات فالله عز وجل يقول عن كتابه: ﴿ **ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر** ﴾ فما لكم تصعِّبون على الناس العلم؟ ولماذا نقدم كتاباً ألف قبل ألف سنة لقوم لهم لغة خاصة وواقع خاص وقد تغير العصر وفترت الهمم وشغل الجيل بما جدّ وحدث من وسائل لم تكن موجودة من قبل كالتلفاز والصحف والإنترنت، إن البساطة عظمة، والتيسير رحمة وكما قال أبو الطيب:

أَبلَغُ ما يُطلَبُ النَجاحُ بِهِ الـ طَبعُ وَعِندَ التَعَمُّقِ الزَلَلُ

نصيحتي لمن تكلم ألا يتعمق ولا يتشدق ومن ألّف ألا يتقعر ومن دعا ألاّ يتكلف، ومن وجه أو نصح ألا يتعسف، الدين يسر، الشريعة سمحة ﴿ **ونيسرك لليسرى** ﴾.

فاصلة

نهى الدعاة والعلماء نهياً جازماً عن الانهماك في السياسة؛ لأن غالبها خساسة ونجاسة، وهي لا تليق بالعالم؛ لأنها مبنية على المكر والخديعة عدا

السياسية الشرعية، ثم إن السياسة وهي فن الممكن متقلبة المزاج لها ألوان مثل ألوان الحرباء كل يوم لها لون، فيا أيها العالم أدمن النظر في علم الشريعة وقرّب الناس من الله ومن الجنة، ولا يغرك كلام بعض المفكرين والمتعطشين إلى الحكم من أن السياسة تفتح عقل العالم وتزيد من بصيرته وعلمه بالواقع وهذا كله كلام فاضٍ وفارغ وهلس ووساوس، العالم تزيده الطاعة وروح التجديد وحسن الفقه في النصوص وتقوى الله والعمل بالعلم والبيان للناس وحمل المثياق، أما أن ينغمس العالم في السياسة إلى أذنيه فهذا يصبح مثل السفير المفوّض والناطق الرسمي والقائم بأعمال القنصلية وكبير طاقم الدبلماسية، ومن ثم ينطفئ نور العلم وتنطمس شمس الفهم ويبقى العالم يردد مصطلحات باردة باهتة ولا يثق الناس بعلمه؛ لأنه متهم عندهم بحب المنصب والسعي للشهرة والصدارة، فيا طلاب العلم تعلموا وعلموا، ولا أدعوكم إلى الغباء بواقعكم والجهل بحياتكم حتى يصبح الإنسان مغفَّلاً، لا، ليس هذا. قصدي أن علماء الإسلام كمالك وأحمد والشافعي وأبي حنيفة وابن تيمية كانوا أذكياء ويفهمون واقعهم ولكنهم لم يكونوا دهاقين للسياسة ولعبة للحكم وشماعات لأخطاء الملوك وجلاسًا وسمارًا للخلفاء ﴿**وَلَكِن كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ**﴾ (آل عمران: ٧٩).

بريال واحد تنقذ الأمة

لو أنا أنشأنا صندوقاً للفقراء ودفع كل واحد منا ريالاً واحداً في اليوم كبارنا وصغارنا رجالنا ونساؤنا؛ لجمعنا في اليوم الواحد في بلادنا عشرين مليون ريال، وفي الشهر ستمائة مليون، وفي السنة سبعة مليارات ومئتا مليون، فلن يبقى عندنا فقير واحد، بل لو وضعنا هذه المليارات في مشاريع واستثمار لعمرنا للفقراء بيوتاً وعلمنا أبناءهم ورفعنا مستوى معيشتهم وأنهينا شبح الفقر المخيف، المشكلة أن عندنا ثراءً فاحشًا وفقرًا مدقعًا، عندنا أناس بلغوا الثريا في البذخ والسرف، وأناس يسكنون الصفيح ويفترشون التراب، وما الذي يضير الواحد منا لو أنشأ في بيته مع أسرته صندوقاً اسمه صندوق الفقراء، وفي كل صباح يقوم الأب أو الأم بأخذ ريالٍ

واحدٍ عن كل فرد من أفراد الأسرة أبناءً وبناتٍ حينها سوف تحل بركة الصدقة في البيت وتنزل السكينة ويربى الأطفال على حب الصدقة، ويدفع البلاء والمصائب والأمراض عن أهل البيت، وتحل أزمة الفقر في بلادنا، وقس على ذلك العالم الإسلامي كله، إن بعضنا يحرق خمسين ريالاً يومياً في شرب الدخان، وآخرون يعدون ولائم وعزائم كلها بذخ وإسراف ورياء وسمعة، وإذا طلب من الواحد الصدقة بمائة ريال تثاقل وبخل ﴿وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِ﴾ (محمد: ٣٨)، جربوا يا مسلمون الصندوق المبارك في البيت صندوق الصدقة، وقبل أن يذهب ابنك أو ابنتك إلى المدرسة اطلب منهم ريالاً عن كل واحد يضعه بيده في الصندوق، إن هذه الطريقة أفضل من عشر محاضرات شفوية يقولها الإنسان، ثم لا يعمل بها، تصدقوا يا قوم؛ لأن الصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار.

فاصلة

كثير من الناس يفنون أعمارهم في خدمة الدنيا، فهم من صباح كل يوم إلى مسائه يلهثون في البناء والتعمير والتجارة ونحوها من المهن والصناعات والحرف، وهذا إذا أخذ بقدره حسن جميل لكن المشكلة أن هؤلاء أهملوا عقولهم وأرواحهم وأجسامهم فتركوا الحد الأدنى من العلم والمعرفة، وأهملوا أدب نفوسهم وزكاة أرواحهم ونظافة أجسامهم، فتجد الواحد جاهلاً لا يعرف لماذا خلق وإلى أين يذهب وماذا يجب عليه، إنما همه كيف يجمع المال من أي وجه، فتجد التجار لا يفكرون إلا في المال وطرق جمعه وأما مسائل العقيدة والأخلاق والآداب فليس لها ذكر عندهم، وهؤلاء عبيد الدرهم والدينار والدولار وهم في سكرة لا يصحون منها إلا وقت الموت، يا جماعة نحن خلقنا لهدف عظيم وحكمة باهرة خلقنا نعبد الله وحده فلماذا نشتغل بالوسائل ونترك المقاصد أهملنا الأصل واشتغلنا بالفرع، الله كفل لنا الرزق فعلينا أن نطلبه بطاعة الله لا أن نصرف العمر في طلب الرزق بمعصية الله، فيكون وبالاً علينا، نحن عبيد الله في المسجد والمصنع والميدان والمزرعة والمكتب

obeikandl.com

والصيدلية، فرق بين أن تطلب لقمة العيش لتعبد الله وبين أن تنسى الله لتكون عبداً للمال، وسوف يظهر لكل مغبون مقدار الخسارة إذا بعثر ما في القبور وحصل ما في الصدور، لكن المبنّج لا يشعر والمسحور مصروف والسكران مسلوب الإرادة، وعشاق الدنيا مبنجون مسحورون سكارى.

obeikandl.com